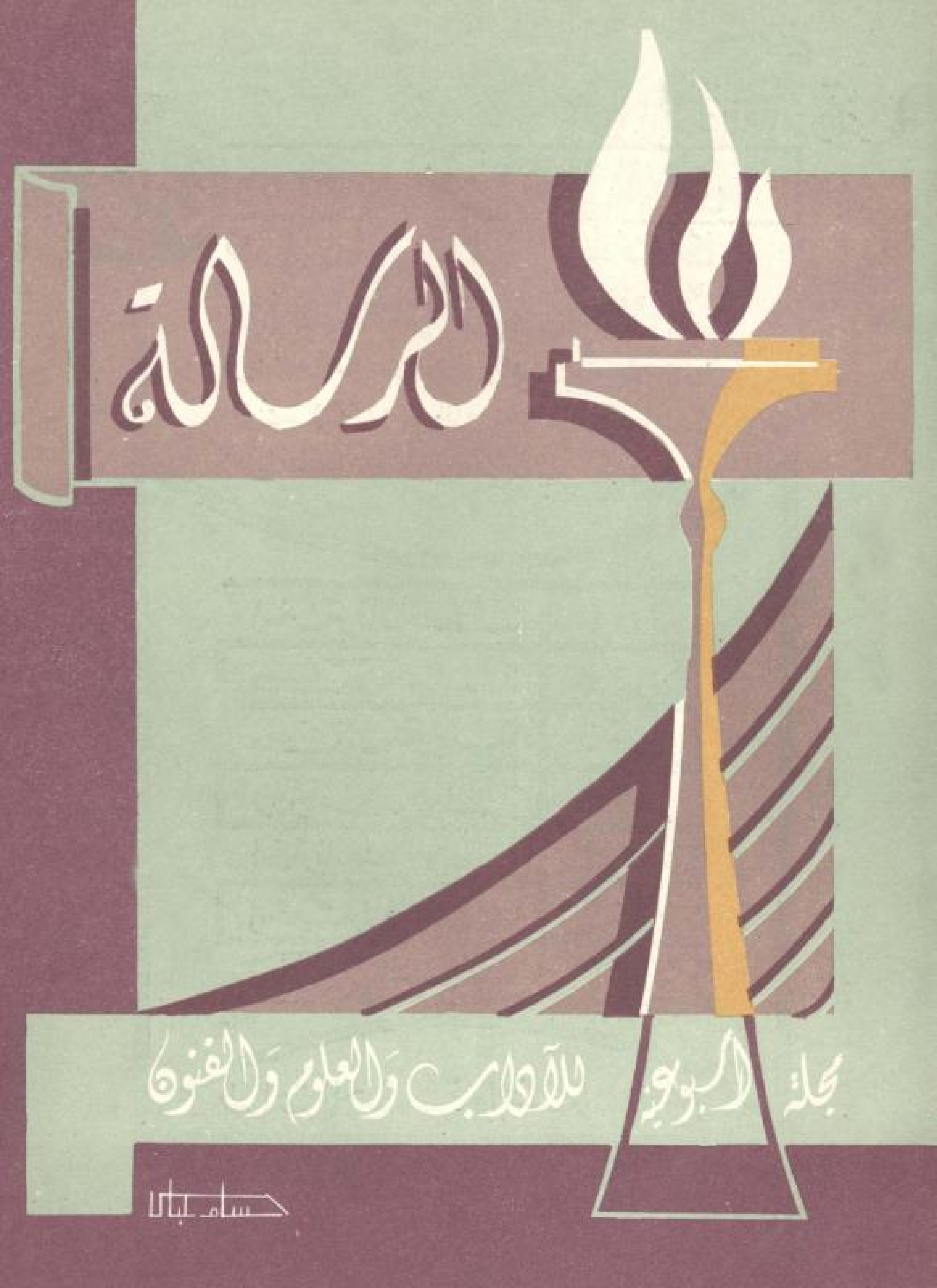

الرسالة
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١١٠٥ - الخميس ١٦ من ذى القعدة ١٣٨٤ هـ - ١٨ من مارس ١٩٦٥ م - السنة الثانية والعشرون

الفارس



والمنطقة

بقلم : عبده بدوى

اذا كان هناك اجماع يوصل الى رياسة الجمهورية عددا من السنوات ، فان الاجماع على انتخاب « جمال عبد الناصر لا يعطى الثقة فى الرجل فقط بقدر ما يعطيها فى الشعب نفسه ، ذلك لأنه يكون فى ضوء هذا الاختيار شعبا ذكيا ـ كما كان طوال حياته ـ يعرف كيف يجسد آماله فى رجل ، ثم يمضى مع هذا الرجل فى احضان الحياة ، وفى دفع حركة التاريخ ، وفى زحزحة أحجار الظلام عن ملامح الفجر الذى لم ييأس فى سمائنا ، والذى كان ينتظر دائما اليد القوية التى تشق الطريق امام موكبه ، وتربت على سنابل النور فى جبينه ، ثم تمسح عن وجهه النسيان وتسقط من نفسه الحزن ، ثم تقدم من جديد حضارة تلف العالم بذراعيها ، وثقافة تحترم الانسان كما تحترم الحياة .

ولقد كان وجود « جمال عبد الناصر » فى هذه الفترة ضرورة حتمية بعد جفاف قلب مصر ، وانكسار قامة العرب ، وبعد انحسار النفوذ الغربى وظهور التشقق العظيم فى المنطقة « الآفراسيوية » .

ذلك لان احدا لا ينكر ان هذه المنطقة عرفت التخلخل ، والتصدع ، والفراغ ، واستحالت الى منطقة كبيرة من التيه .

ومن هنا كان لابد من ظهور صوت تتردد من خلاله أشواق المنطقة ، وكان لابد من وجود قلب جسور يغطى على عملية الانكسار القريبة ، ويصل ما بينه وبين ينابيع الأمجاد العريقة ، ويعمل على اعادة الصبوة للانسان العربى ، ولقد كان هذا الصوت هو صوت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وكان هذا القلب الجسور هو قلب جمال عبد الناصر .

واذا مددنا أعيننا فى التاريخ ، وعرفنا ـ فى دائرة ضوء كبيرة ـ كيف نربط بين القلب والخفقة والجذر والثمرة ، أدركنا ان الثورة وجمال عبد الناصر يمتان بأوثق الصلات وأعمقها الى قيم المنطقة ، فهذه المنطقة لم تعرف الجدب الا على أيدى الغزاة ، وهذه المنطقة لم تعرف التصفيات الدموية لأنها تتعامل مع الحب ، ولم تعرف التعصب لأنها عرفت التسامح .. ثم أخيرا لم تعرف الحدود السياسية لأنها كانت دائما فى عينيها وقلبها شيئا جديدا ومضيئا تتخطى به الحدود السياسية التى كانت تفرض عليها .. صحيح ان هذه الحدود العقائدية كانت تبدو قصيرة فى بعض

الأوقات ولكن « الغزاة الأجانب » هم الذين كانوايعملون على تقصيرها ، وشدها من قلوب الناس وعقولهم داخل الأمة العربية وخارجها ، ولكن ما انيستيقظ الشعب حتى يعود عنيفا في عطائه ، سخيا في مد يده ، كانما يريد أن يعوض مافات من فترات الضياع ، وكانما يريد ان يقول انه كان يعمل دائما للأمة العربيـة حتى في فترات ضعفه ، حتى في تساقط أوراقه وتعرضها للعاصفة .

***

واليوم ونحن نرى «جمال عبد الناصر»يكسو الأرض بالاخضرار ، ويطارد النفوذ الاجنبي من كل القواعد ، ويهز المنطقةهزا عنيفا لتستيقظ بعض أجزائها النائمة ، ويقدم نظريةجديدة للحياة من خلال عروبة هـذه الأمة واسـلامها ، وتطلعاتها ، واحساسها بدورها الريادي على مر التاريخ .. ثم أخيرا نراه يلقي ظله وطموحه ويقينه وحيويته على افريقية ، وآسيا .

اليوم ونحن نرى هذا لا يكفي اننا أعطيناأصواتنا لجمال عبد الناصر ، ولا يكفي ان نبح أصواتنا وأصوات قلوبنا له ، ذلك لأن المكافأة الحقيقية التي يستحقها ، هي أن نسير في هذه الفترة « بسرعتين » لا سرعةواحـدة ، وأن نعمـل على أن تكون بلادنا جديرة بزعامته ، وأن نرفع من اجله شعارا يقول : « من أجل جمال عبد الناصر » وفي ظلال هـذا الشعار يجب أن نختصر الخطط الانتاجية ، ويجب أن نتحدى الحياة ونعوض فترات الضعف التي لحقت بنا ، ونعمل ـ الى حـد الضراوة ـ على تحقيق الوحـدة العربيـة ، ونسـكت في أنفس البعض الأصوات التي تحقد على العرب والتي تريد أن تشدنا الى المعسـكرين اللذين يمزقان الآن العالم .. وفي الوقت نفسه لا ننسى انه كان عندنا ما أعطيناه للعالم ، وان عندنا ما نقدمه الآن لهذا العالم من السلام والرفاهية واحترام الانسان ، وأن كل هـذا لابد أن يقدم في عهد جمال عبد الناصر .

ان جمال عبد الناصر ليس ملكا لطائفة دون أخـرى ، وليس قريبـا من الذين يحترفون الصياح ، بقدر ماهو ملك لجبهة الأمة العريضـة التي تضرب الأرض ، وتثقب الصخر ، وتحلق في الأفق ، وتتعامل مع الحرف واللون والصـوت والصورة ، مادامت جميعها تخلق وتبدع وتحرك التاريخ في المنطقة .. فما يقرب منه ليس الصوت الجهير الخشن الذي يستعرض عضـلاته الصوتية ، ولـكن كل ما يدفع النماء في الشجر ، وكل مايدفع النضارة في العروق ، وكل مايقرب الثمرة من كف طفل ، ومن شوق شاب ، ومن طمأنينة شيخ ، ومن عزم حياة .. سـواء أكانت هـذه الثمرة مما يقبض عليها بالكف ، أو ما تحتضن بالقلب أو بالعقل ، أو بالقلب والعقل معا !

ان عبد النـاصر هو الأمل المجسـد للشعوب العربيـة ، وهو مستقر عقلا في قلوب سكان الظهير الاسلامي الذي يحيط بالشـعوب العربية ، وهو يتخطى هاتين الدائرتين الى دائرة الانسان الذي يتصبب بالعرق وبالدم وبالعزم في أي مـكان لم تتوهج من فوقه مأساة الحرية !

ولعل من الوفاء لعبـد الناصر أن نعمق صلاتنا بهذه الدوائر ، وأن نسيج بالزهور الميدان الكبير الذي يتحرك فيه الفـارس داخل حبات القلوب وحبات الأعين ، ذلك لأن له أملا فينا ولنا أمل فيه ، وما نحسب الا أن هذه الآمال ستتحقق ، بل ستختصر فترة تحقيقها ، لما نعرفه من ايمان جمال عبد الناصر بالأمة العربية ، وما نعرفه من ايمان الأمة العربية بجمال عبد الناصر .

ثم ان أحدا لا ينسى أنه صديق «للكلمة»، فقد عرف كيف ينسجها من وهج القلب ونور العين ، ولعل « الكلمة المسموعة » حين تؤرخ في هذا العصر ـ على مستوى العالم ـ لابد أن تبدأ به ، فهو يرسلها نابضة خضراء متوترة ، فاذا هي في قلب الأمة أمل ، وفي قبضتها عزم ، وفي جبهتها فكر !

فالذي يسمعه يخيل اليه أن كلمة واحدة لو افلتت من آذان المستمعين ـ وهي لاتفلت أبدا ـ ثم مست الأرض فانها لابد أن تنبض في جذر ، وتعلو في ساق ، وتتالق في ثمرة ، فاذا تركت الأرض الى الافق فهي نجم ثابت مضيء سخي الضياء !

وكل الذين اتصلوا به يؤكدون انه من عشاق «الكلمة» ، وان كتبا كثيرة مرت على اهدابه ، بالاضافة الى أنه يرعى حق الذين يحترفون بها لتكون نورا في قلب ، أو ثورة في نفس ، أو اقتحاما في معركة !

بل ان الجميع يدركون أن الكلمة من قبله كانت رخوة وهشة وضائعة وبائسة وزهرة جافة ، ولكن انتصاراته ، واقتحاماته ، جعلت الكلمة لا تترنح كالسكارى ، أو تتمايل كاليائسين .. فهي اليوم تتربص ، وتقاتل ، وتنسف ، وتفيء في اكثر الميادين !

فالذي لا شك فيه أنه دخل بالكلمة عصر انتصار الانسان ، وأعطى حيوية للشخصية داخل الحدث ، وما اكثر النماذج التي تمت اليه بصلة في الفضائل الأدبية ، ولعل أعمق دراسة توجه في الأدب المعاصر اليوم هي دراسة « البطل » في الأعماق الأدبية ، اما أنا فقد ركزت عيني من فترة على الشعر فاذا بي المح داخله صورة «الفارس الأسمر» الذي يحقق الأمل للانسان بصورة لم تحدث من قبل ، ومهما يكن من شيء فالذي يقرب عينيه وقلبه من هذا « الفارس الاسمر » يجد شيئا من ملامح هذا البطل الاسمر ومن شخصيته التي تتمثل فيها تماما شخصية المنطقة العربية .

وحين تذكر « الكلمة » في الأمة العربية لابد أن تذكر « مجلة الرسالة » في حياة الأمة العربية ، فقد عاشت أبدا شعلة فكر ، وثورة ضمير ، وغناء واعيا للأمة العربية ، وهي اليوم « باساتذتها » تعتبر من اخلص « السفارات » لك على الجبهة العربية والاسلامية ، فهي الصوت « الرائق » للوجود العربي ، وهي الشعاع النقي الذي عاش وسيعيش من أجل الأمة العربية ..

وهي بعد ذلك

وهي قبل ذلك

تشد على يد الفارس

وتحرس رسالته في المنطقة

« عبده بدوي »

وأقول.. نعم!

بقلم: محمود محمد شاكر

لعل القارئ كان يتوقع أن يرى عنوان هذه الكلمة كما قرأه في العدد السالف من الرسالة : « **اباطيل وأسمار** » · ولكن المرء لايستطيع أن يخرج من وعكة الحمى بارادته ، كما لايستطيع الناس في بلاد العرب والمسلمين أن يخرجوا بإرادتهم من هبوة الوباء المنتشر في صحيفة الأهرام · وقد وعدت الرسالة قراءها في الأسبوع الماضي انى سوف أتابع سلسلة مقالاتي بها ابتداء من هذا العدد ، فأحببت أن أصدق بعض كلماتها بالكتابة في حاشية من حواشي السلسلة ما دمت غير قادر على أن أصدق كلمتها كلها في هذا الأسبوع ، شاكرا لها ولقرائها ما لقيت من مشاركة ومواساة ·

يقول أحمد عرابى فى حديثه عما لقى فى سجنه بعد هزيمته : « **وبعد ساعة جاء ليزورنى بشارة تقلا ، محرر جريدة الأهرام ، وظننت أنه قدم ليعزينى ، ويبدى عواطفه نحوى، وقد كان ممن يدينون بمبدئنا قبل الحرب ، وقد اقسم بدينه وشرفه أنه واحد منا، وانه يعمل لحرية وطننا ، وقد عددناه فى الحق من الوطنيين ، ولكنه لما دخل على توقع اشد التوقع ، ثم قال : اى عرابى ، ماذا صنعت ؟ وماذا حل بك ؟ ورايت أن الرجل خائن ولا شرف له** » · هكذا روى عرابى بأدبه الجم، ولكن يقول بعض الناس ان بشارة تقلا **بصق فى وجهه** ، شامتا ، وطالبا لشفاء ما فى صدره !

والظاهر أن بشارة تقلا هذا قد عاد حيا مرة أخرى، واستوى فى صحيفة الاهرام يحررها ويديرها بمكره وكيده وغشه ، كما كان يفعل فى زمن عرابى وبعد زمن عرابى · فالا يكن قد عاد ، فقد قام مقامه المستشار الثقافى لصحيفة الأهرام ، حيث عاد بعد غيبة وقامت قيامته ! عاد المستشار فى يوم الجمعة ، حاملا معه الساعة المشهورة عند العامة ، وذاتا جراثيمه المعهودة · واذا كان الشاعر « **بدر شاكر السياب** » الذى بدأ بالكتابة عنه ، قد ابتلى ، كما يقول : « دون أكثر الشعراء بداءين عجيبين غامضين وبيلين مبرحين فى وقت واحد ، هما داء العظام الذى رمى به فى جسده ، وداء الشعر الذى يرمى به أرواح عامة الشعراء » !! (وهذا شئ مكتوب بفن !) – فقد ابتلى المستشار الثقافى بداءين أخبث من هذين الداءين فى وقت واحد ، وهما الحقد الدفين الذى لا تهدأ مدته ، والمكر السوقى المبتذل الذى يجلب الغثيان · واذا كان بشارة تقلا كان يتظاهر بأنه يعمل لحرية وطننا ، ويقسم على ذلك بدينه وشرفه ، فالمستشار الثقافى أيضا يتظاهر بتمام الحب للأدب والوطن ، وبالحرص على رفعتهما ، ولكنه فى الحقيقة ، لا يفعل الا ما فعل بشارة تقلا ، بعد قسمه بدينه وشرفه ، من التوقح على مجاهد عربى صادق ، باللفظ القبيح والفعل المستبشع ·

ونحن لا نسأل صحيفة الأهرام لم عاد ؟ لأنا نعلم أنه لم يغب عن العمل ، فان آثاره ظلت باقية طول هذه المدة ، فلا تكاد الصحيفة تخلو من دلالة على وجوده ، وعلى رقابته التامة على المادة الثقافية التى ترفع قدر صحيفة الأهرام بما تتضمن من العلم والدقة والأمانة ! واذا كان هذا المستشار قد غاب، فكيف يمكن أن تنشر صحيفة الأهرام خمسة أعمدة فى الثناء على كتاب عظيم القدر جدا ، يعد فتحا من الفتوح ، وان كانت صفحاته لا تزيد على الستين ، ومحصل ما كتبه كاتبه من انشائه فى هذا الكتاب، لا يزيد على عمود أو عمودين فى الأهرام !! كيف يتم هذا، الا اذا كان هذا المستشار حاضرا بمستشاريته؟ ثم تسأل بعد ذلك ، لم هذا ؟ ومن الذى كتب هذا ؟ ومن الذى أبت عليه أمانته أن يضيع على صحيفة

الأهرام السبق الى التنويه بهذا الكتاب الخالد فيقال لك : انه المستشار وأعوانه بلا ريب ·

واذا كان المستشار قد غاب ، فكيف كان يمكن مثلا أن ينشر تحقيق صحفي يملأ صحيفة ، وفيه من المعلومات الوثيقة عن المخطوطات العربية (الانجليزية أو البيزنطية) ، هذا القدر الهائل من التحقيق عن الكتب وأسمائها وأسماء مؤلفيها ؟ وحسبك من التحقيق مثلا أن صحيفة الأهرام الخاضعة للمستشار الثقافي الجليل القدر، قد عرفتنا أنه كان يوجد رجل عربي يقال له « **ابن السكيت** » ألف كتابا مهما في علم « المنطق » ؟ واذا غاب المستشار الثقافي ، فليت شعري من كان يستطيع أن يمدنا بمثل هذه المادة من المعارف ، وأن يرفع قدر صحيفة الأهرام ، بهذه الفرائد البهية (!!) التي تحسدها على مثلها سائر الصحف ! ولكن ما لنا ولهذا ، فان الله الذي أنبت في الأرض العشب ، خلق له من خلقه ما شاء !

ونعود الى المستشار الذي بدأ مقالاته عن « **بدر شاكر السياب** » منتفخا كعادته، ثم موزعا الصدقات على فقراء أهل العلم الواقفين ببابه ، كما يتوهم هو بالطبع ، فيكرم رجاء النقاش ، واحمد عبد المعطى حجازي بذكرهما في صدر مقالته ، ليصف الأول بأنه « الناقد الشاب » ، وليقف من الثاني موقف المعلم العظيم الذي يكفكف من غلوائه وينهاه عن الاسراف · ولا يفعل كل ذلك الا بأنه يعد نفسه مرجعا يصار اليه، ومجربا عظيما قد صار الى ماقال الفرزدق : « أحلامنا تزن الجبال رزانة » !! ثم يبدأ هذا المسكين المستشار في بث أحقاده التي استودعها «بلوتولند» ، ولكن يتعالى ويتسامخ ، ويضرب بهامته رأس جبل الأولمب ، ويسخر من شعر بدر شاكر السياب الذي التزم فيه نهج الشعر المألوف قبل أن يبدأ في التحول ، ويأخذ يملأ فمه بالقدماء ، (مقلدا الدكتور طه بطبيعة الحال ! لأنه انسان لا أصالة فيه اطلاقا) · فيقول « بلاغة القدماء » ، « موسيقى القدماء » ، وتدور حلقة الذكر ، من أول المقال الى آخره على النفث المتواصل في تحقير لغة العرب ، وشعر كل شاعر التزم بعض الالتزام بالعبارة الصحيحة الخالية من ركاكة بعض الكتب المشهورة ، ولكنه لا يفصح عن نفسه كل الافصاح ، ولا ينفس عنها كل التنفيس الا في أول المقالة الثانية ، حيث يبدأ في استعمال الألفاظ التي لا تنبع الا من عند مثله ، كقوله : « بعد عشرين عاما قضتها مدرسة المهجر ، ومدرسة أبولو ، في مكافحة شوقي وحافظ والكلاسيكية العربية » ، وبالطبع هذا غث، ولايعني بالكلاسيكية العربية ، سوى الاثار الخالدة على وجه الدهر برغم أنفه وأنف العالم المسيحي الأوربي كله، وأولها كتاب الله الذي أنزله الله اعجازا للجن والانس جميعا ·

ولا يكاد يمضي قليلا حتى يكشف عن دفين حقده الذي كان قد استودعه « بلوتولند » ، فيذكر الفترة التي عاش فيها جيل السياب في صدر شبابهم ، فيقول : « فلم يكن بد من أن يتأثر تكوينهم الفني بهذا القلق الأعظم، فتمردوا على الفن الموروث صورة ومادة . ولم يكن أمامهم الامعمار شوقي والكلاسيكيين من ناحية ، وأحلام علي محمود طه والرومانسيين من ناحية أخرى · ثم يكن أمامهم الا : « رمى القضاء بعيني جؤذر أسدا » ــ ثم يقول أيضا : « فاذا ما التفتوا الى الكلاسيكية العربية الأصيلة ، وجدوا من يقول لهم : « السيف أصدق أنباء من الكتب » ، دون أن يقول لهم كيف ؟ ولماذا ؟ وعلى هذا حق في شريعة الأخلاق ، أم هو قدر أسيف كتب على بني الانسان منذ عهد قابيل ؟ وما الرأى في كل هذا البارود الذي لطخ وجه الأرض بين ١٩٣٩و١٩٤٥ · فاذا ما التفتوا الى الرومانسية العربية الأصيلة ، وجدوا من يقول لهم : « لم يكن وصلك الا حلما في الكرى أو خلسة المختلس » ، وهو شيء لا يقرأون له نظيرا في البلاغات الحربية التي كانوا يطالعونها كل يوم (!!) ولا ··· » ويعطف على ذلك هلوسات كثيرة ·

وفي هذا الذي نقلت كفاية وفوق الكفاية ، لمن يعرف كيف يميز طبائع الكتاب ، ولكن المهم أن «**رمى القضاء بعيني جؤذر أسدا**» ، الذي ذكره هنا، وذكره في بلوتولند أيضا في التجربة السادسة ، وهي تجربة «كسر رقبة البلاغة» والتي اعترف فيها بأنه بقي ما بين العشرين الى الثلاثين لم يقرأ حرفا بالعربية !! وبأنه ضعيف فيها بالفطرة ، وأن احساسه باللغة العربية أجنبي جدا على كل حال ــ هذا الشطر من شعر شوقي ، وهو من قصيدة التزم فيها ما لم يلتزمه في غيرها من شعره ، لغرض واحد ، هو « المعارضة » ، لأنه من قصيدته المعروفة « نهج البردة » التي عارض بها القصيدة الرائعة

« البردة » ، للبوصيرى • وهذا شيء لا يغيب شوقى أن يفعله ، ولكن هذا المسكين ، لم يجد عند شوقى ما يستنكر سوى هذا البيت ، وكأنه هو عمود شعر شوقى وأجوده وأتقنه وأدله على أسلوبه ونهجه • وهذا باطل بالطبع . فاهتمامه بذكر هذا الشطر يجعله دلالة على شعر شوقى كله ، ضرب من السخف والجهل والمغالطة ، **ولكن الدافع اليه هو أن « نهج البردة » ، هو فى مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم،** فأراد هذا المأفون، بمافى قلبه من العداوة والبغضاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، أن يجعل هذا الشطر وحده ، هو المتضمن لمذهب شوقى فى شعره، وهذا عبث ، وهى طريقة فى التعريض بما تكنه النفوس، فاشية عند المستشرقين والمبشرين، وفاشية عند المستشار الثقافى ، وعند ساحبه من عنقه سلامة موسى ، وعند ذيله وحامل حقيبته غالى شكرى •

واما شطر « **السيف أصدق أنباء من الكتب** » ، فهو أيضا مطروح على لسانه وعلى لسان قائده من عنقه سلامة موسى ، كلاهما ذكره ، وكلاهما شرح معناه هذا الشرح المدهش ، لأنهما لم يفهما شيئا ، ولا قرءا شيئا ، ولا أظن أحدهما كان قادرا على أن يفهم الا بمفهم ، ولا أن يقرأ الا بمقرىء ، لأنهما جميعا من معدن واحد ، لا علاقة له ، بالأدب والفن، لا فى العربية ولا فى غير العربية • وقصة البيت ، أو قصة القصيدة كلها ، مشهورة ، فاذا جهلها هذان الخلقان ، فانما جهلاها بطبيعة النفور من العرب ، والبغضاء لهم ، لأنهما يعلمان أن هذه القصيدة احدى روائع الشعر العربى ، صور فيها أبو تمام ملحمة من ملاحم الثغور العظمى ، فى فتح عمورية ، ووطء المعتصم جباه البطارقة وجيوشهم من الروم وطأة المتثاقل ، فمن أجل هذا زال عقل سلامة موسى ، وهاجت سمادير لويس عوض ، على هذا البيت ، فظنا أن أبا تمام أراد تفضيل السيف على الكتاب ، « دون أن يقول لماذا ؟ وهل هذا حق فى شريعة الأخلاق » ؟ أو كما قال المسكين ، وأى أخلاق يعرفها ، حتى يهدى الناس اليها ؟ ولكن لما كانت القصة تزرى بالروم والبيزنطيين ، فانهما هاجا ودسدسا • وأصل القصة أن المعتصم الخليفة ، كان فى مجلسه ، وفى يده قدح يهم أن يشرب ما فيه ، فجاءه رسول يبلغه أن الروم فتحت « زبطرة » ، وأخذوا النساء سبايا ، وأن امرأة منهم صرخت : « وامعتصماه ! » ، فوضع المعتصم القدح من يده ، وأمر بأن يحفظ حتى يؤوب من فتح « عمورية » ، وخرج بجيشه من فوره يقصدها ، فراسلته الروم بأنهم يجدون فى كتب رهبانهم ومنجميهم : « أن لاتفتح مدينة عمورية الا فى وقت ادراك التين والعنب، وبيننا وبين ذلك الوقت شهور ، يمنعك من المقام بها البرد والثلج » ، فهزىء المعتصم بجهل الروم ، وأوقد عليهم نار الحرب ، فأكلت من صناديدهم تسعين الفا ، ذكرهم أبو تمام فى رائعته فقال :

تسعون الفا كآساد الشرى نضجت

جلودهم ، قبل نضج التين والعنب

وأكب المعتصم على عمورية حتى فتحها ، فأبطل بنصر الله اياه ما قالت كتب البطارقة والمنجمين • فهذا كما ترى ، فأين منه سخف ما قاله المستشار ، وساحبه من قبله سلامه موسى ، ولكنه الحقد يعمى ويصم •

وليت الأمر يقتصر فى جهل هذا المسكين بالشعر القديم وحده ، بل هو أجهل شىء فى فهم الشعر الحديث الذى يكتب عنه ، فبدر شاكر السياب ، يقول فى قصيدة له سماها « المبغى » ، يقول فيها : بغداد ؟ مبغى كبير (لواحظ المغنية كساعة تتك فى الجدار ، فى غرفة الجلوس فى محطة القطار) ، ياجثة على الثرى مستلقية ، الدود فيها موجة من اللهيب والحرير • بغداد كابوس : (ردىء فاسد ، يجرعه الراقد ، ساعاته الأيام ، أيامه الأعوام ، والعام نير ! العام جرح ناغر فى الضمير) » •

فجاء هذا المسكين ليفسر طريقة « الأسموز » !! (ياللشرلتة الظاهرة ! مصدر « شرلتان ») ، أى الانتشار الغشائى (كما قال هو) ، فقال : « فهذه المغنية أو القينة المستلقية فى المبغى ، ليست جثة هامدة ، أو جثة عفنة ، ولكن **لواحظها** تتك كساعة الحائط ، تحصى الثوانى والدقائق فى انتظار شىء رهيب يوشك أن يقع ، يسميه السياب : وصول القطار ، أو انطلاقه ، ولكن الصورة التى رسمها حقا ، هى صورة قنبلة زمنية هائلة راقدة تتك فى الصمت الرهيب ، تحت هذا المبغى الكبير ، وتوشك أن تنفجر وتنسف كل شىء » ، الى آخر هذه الفكاهات!

و « **لواحظ** » المذكورة فى شعر السياب ، اسم مغنية بغدادية ولاشك ، أما « اللواحظ » بمعنى « الألحاظ » ، فأظن السياب كان يشم من العربية قدرا ، لا يملك منه لويس عوض شيئا بالطبع ، يمنعه أن يعنى باللواحظ ، الألحاظ •

ولا أظن السياب أيضا تبلغ به ملكة الانحدار

الى أسفل ، أن يجعل العيون « تتك كساعة فى الجدار » ، ولا يملك هذه القدرة الا هذا المسكين المعذب بوساوسه ، فهو جعل « لواحظ المغنية » ، بمعنى عيون المغنية، ليستقيم له التشبيه، بالقنبلة الزمنية ، ولينسف بغداد ، ثم تتولى صحيفة الاهرام بعد ذلك نسف نفوس الناس وعقولهم بخواطر السوء وسمادير المخمورين ، بعد أن تنهار الحواجز التى كانت تحجز هذا الوباء وتمنعه أن ينتشر ٠ والعقل الذى أخرج هذا ، هو العقل الذى تصور أن « **وردة كالدهان** » عى « روزا مسكيتا » ، وأنها وردت فى القرآن بهذا المعنى ، وكذلك فى شعر أبى العلاء ، وأنها بمعنى « الوردة » ، الزهرة المعروفة ! وهو نفس العقل الذى يجعل النبت المسمى « بالصليان » ، « صلبانا » ، تغص بها حلب !! عقل أديب مثقف كبير جدا ، ينشر له فى كل شهر شىء يؤجر عليه فى صورة مقالات ، ويأكل ثمنه مجموعا فى كتاب ، وتتولى اطعامه فى الحالين مؤسسات الاتحاد الاشتراكى ، كصحيفة الاهرام ، ومطبعة دار المعارف (وهما مما يدخل فى نطاق مستشاريته !) ودار الهلال ، بحكم « التعصب » الذى شرحته فيما سلف من مقالاتى ٠

انى لم أكتب هذا لأنقد هذا الغر ، بل لأنبه الى هذه الآفة التى أخذت تستشرى استشراء دودة القطن ، لتهلك تراثا ماضيا ، وتعبث بعقول جيل آت ٠ واذا كان من يتولى هذه المؤسسات يظن أنه يدفع الأموال من جيبه لمثل هذه الأوبئة المهلكة ، فليعلم أنه يظن خطأ ، لأن هذه المؤسسات يملكها الاتحاد الاشتراكى نيابة عن الأمة ، وهذه الأمة لا ترضى أن تلعب بأموالها عصابة من الناس ، بلا رعاية لحرمة ، ولا ادراك لتبعة ، ولا حياطة لثقافة، ولا حمل لأمانة الدفاع عن كيان العقل ، أن تنخر فيه جراثيم الفتك المسلطة على عقول الناشئة ٠ ان الأمة لم تملك الاتحاد الاشتراكى هذه المؤسسات، لتكون ألعوبة فى يد المستشار الثقافى وذيوله ، باسم « الثقافة » ، والتى هى فى حقيقتها ضروب من مخاريق الشرلتانات التى شرحت أمرها فيما سلف ٠

ومقالات هذا المسكين عن بدر شاكر السياب ، فيها هراء فظيع رهيب (وهى اللفظة التى كررها فى احدى مقالتيه أكثر من عشر مرات) ، وفيها من المغالطات والأكاذيب والأباطيل والعبث ، ومحاولة اقناع الناشئة بأنهم ليسوا شيئا اذا لم يعيشوا بقلوبهم ونفوسهم وأهوائهم وعواطفهم ، مع العالم الأوربى المسيحى ، ثم لايجدون فى بلادهم شيئا يحركهم ، لا عروبة بلادهم ، ولا وحدتها ، ولا فلسطينها ، ولا لغتها ، ولا دينها ، الا هذا الذى يحرك ، من صراع العالم المسيحى وصراع أممه ٠ وأما الماضى ، فهو أيضا ينبغى أن يمحق ، واذا أرادوا لأنفسهم ماضيا ، فانما هو الماضي المنحدر من وثنية اليونان الى صليبية القرون الوسطى ، الى « اليوتية » العصر الحديث ، التى تعد الثقافة هى الدين ، أى الدين المسيحى الكاثوليكى !! كما يريد أن يفهم ذلك لويس عوض وشيعته ، لا كما أراده صاحبه اليوت ، وهم أجهل الناس بحقيقة رأيه ٠ ولا أدرى بعد ذلك ما الذى تريده مؤسسة الاهرام ، من نشر هذه البلايا على الناس ، بلا توقف ، وبلا مراجعة ٠ ومع ذلك ، فان كل هذا شىء معاد مكرر ، منذ سلامة موسى ، الى لويس عوض ، الى غالى شكرى ، الى سائر التوابع ٠ وربما كان من الخير ، أن تنفى الاهرام عنا هذا التكرار الممل ، بأن تأخذ مستشارها هذا وتوابعه ، وترسلهم فى بعثة الى كمبردج ، حيث الخلوات المشهورة تحت أشجار الدردار ، أو الى برنستون، (وما أدراك مابرنستون) ، فعسى أن يعاد تدريبهم فيأتى وقت نقرأ لهم فيه شيئا جديدا على الأقل ، مكان هذا المكرر المملول ٠

ان الحياة لاتحتمل هذا الهراء كله ، ولكن من لمؤسسة الاهرام ولتوابعها وللسالكين على دربها ، أن يعرفوا أن الامر ليس لهوا ، بل جدا ، وأن عاقبة العبث بثقافة أمة وبعقولها ، وبنفوسها ، وبتاريخها ، وبماضيها ، وبحاضرها ، عاقبة مخوفة، وقد خلت من قبلهم المثلات ! واذا كانت هذه المؤسسات قد خلت من القدرة على فهم هذه البسائط ، فليت شعرى ماذا بقى لها مما يوجب لها البقاء والاستمرار ٠ لا تقل : **أكل هذا من أجل هذا المستشار الثقافى ؟** وأقول : نعم ، لا لأنه هو فى ذاته شىء ، بل لأن السلطان الذى يملكه هو الشىء الذى ينبغى علينا أن نحوطه بالرعاية ، وأن نطلب له البراءة من الآفات ، ونلتمس له تمام الصحة والعافية ، ومن جهل خطر هذا السلطان فى الصحافة ، فقد جهل شيئا كثيرا ، بل لقد جهل كل شىء ٠

« **محمود محمد شاكر** »

اللغة .. الفصعمية

للدكتور : علي عبد الواحد وافي

بالتأمل فيما يكتبه انصار العامية مما يزعمون انه شعر او نثر فنى او قصص او رسائل ، وفيما يلقونه من خطب عامة ومحاضرات ودروس فى الجامعات والمعاهد والمدارس ، يتبين لنا مايلى :

١ — انهم لايجدون في المفردات العامية المتداولة مايكفي للتعبير عما يريدون التعبير عنه . فالعامية فقيرة كل الفقر في مفرداتها ، لايشتمل متنها على اكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادى ، وتكاد تكون مجردة من المترادفات . ولذلك يلجئون الى العربية الفصحى يقتبسون منها فيما يكتبون ومايقولون مفردات كثيرة لاتستخدمها لهجات المحادثة .

٢ — انهم لايجدون في طرائق التعبير فى العامية مايضفى على كتاباتهم واقوالهم اية مسحة من صفات الانتاج الادبى . ولذلك يلجئون الى العربية الفصحى يقتبسون منها طرائق تعبيرها في الاستعارة والمجاز والكناية والتمثيل وتحويل الجمل عن أبوابها .... وما الى ذلك من فنون البيان التى لاوجود لكثير منها فى لهجات المحادثة ، ومايوجد منها في هذه اللهجات يتمثل فى صور بدائية ساذجة لاتكسب القول روعة ، ولاتكاد تترك اثرا في النفوس .

٣ — تكاد تعرو كتاباتهم واقوالهم من قواعد المطابقة لمقتضى الحال ، كالقواعد الخاصة بتوكيد الكلام واطلاقه ، وفصل الجمل بعضها عن بعض ، أو وصلها وذكر جميع عناصر العبارة وحذف بعضها وتقديم بعض هذه العناصر على بعض ، وتعريفها وتنكيرها ، وقصر الحكم وتخصيصه ، والاطناب فى القول والايجاز فيه ومساواته لما يراد التعبير عنه .. وما الى ذلك من القواعد الدقيقة التى تسير عليها العربية الفصحى لتحقيق بلاغة القول ومطابقته لمقتضيات الاحوال . وهم فى ذلك يحافظون على أوضاع اللهجة العامية . فليس فى العامية قواعد مطردة مضبوطة لمطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وليس فيها أدوات دقيقة للابانة عن المقاصد البلاغية التى تتوخاها هذه القواعد ، واذا أرادت العامية الابانة عن مقصد من هذه المقاصد فانها تلجأ فى الغالب الى حشو من الالفاظ والجمل ، ولا تكاد مع ذلك تحسن الابانة عنه . فليس فى العامية مثلا أدوات دقيقة لتوكيد الكلام كحروف ان واللام ونون التوكيد الثقيلة والخفيفة .. وما الى ذلك من الادوات التى تستخدم لهذا الغرض فى العربية الفصحى ، واذا أرادت العامية التوكيد أو اقناع المخاطب فانها تلجأ الى جملة طويلة من جمل القسم بالله أو بمن له مكانة عند المتكلم أو المخاطب أو كليهما . وانصار العامية يترسمونها ، حذوك النعل بالنعل ، فى قصورها هذا فيما يكتبون ومايقولون .

٤ — انهم يسيرون كذلك على طرائق العامية فى الاعراب ، فيلتزمون تسكين أواخر الكلمات المعربة بالحركات ، ويستخدمون الكلمات المعربة بالحروف في صورة واحدة لاتتغير (اخوك راجل طيب ، شفت اخوك امبارح ، جانى جواب من اخوك) . ويستدل فى كتاباتهم واقوالهم على وظيفة الكلمة فى الجملة من السياق أو من ترتيب وضعها في العبارة .

٥ — انهم يقتبسون جميع مايستخدمونه من مفردات عامية من الكلمات المستعملة في لهجة معينة من لهجات المحادثة ، فالمصريون منهم مثلا يقتبسون هذه المفردات من لهجة القاهرة وضواحيها ، واللبنانيون من لهجة بيروت ، والعراقيون من لهجة بغداد .. وهكذا .

٦ — انهم يسيرون على طرائق لهجة معينة من لهجات المحادثة فى الأصوات وأوزان الكلمات وقواعد التركيب . فالمصريون منهم مثلا يتبعون في ذلك طرائق لهجة المحادثة فى منطقة القاهرة وضواحيها . فمن ذلك انهم يسيرون على غرارها

في قلب صوت القاف الى همزة والثاء الى تاء والجيم المعطشة الى جاف والذال الى دال والظاء الى ضاد (الت ، تعبان ، ديب ، ضهر ــ بدلا من : قلت ، ثعبان ، ذئب ، ظهر) . وقد يخرجون احيانا على طرائق العامية فى ذلك فيستخدمون اصواتا لاوجود لها في العامية وخاصة صوت القاف . ومن ذلك انهم ينطقون ويكتبون الحروف والافعال والاسماء الجامدة والمشتقة وفق أوزانها في لهجة اهل هذه المنطقة . ومن ذلك انهم يحاكونهم في طرائق التركيب التى يتبعونها في النفى والاشارة والتسويف والتصغير والتثنيه والتأنيث واستخدام الجمل الاسمية وما الى ذلك ، فيحصرون مثلا الاسم والضمير والفعل فى حالة النفى بين علامتى نفى وهما ما والشين (ماحدش أحسن من حد ، منش رايح ، ماجتش امبارح ليه ؟) وينفون الصفة بوضع العلامتين قبلها (مش كويس كده) ، ويضعون اسم الاشارة بعد المشار اليه (الراجل ده ، الست دى) ، ويستخدمون للتسويف كلمة : ها ، أو راح ، (هاييجى ، أو راح ييجى بكرة) ، ويصغرون الاسم الذى يدل بطبعه على التصغير أو القلة او القرب (طفل صغير ، شىء أليل ، مكان أريب = طفل صغير ، شىء قليل ، مكان قريب) ، ويعاملون المثنى معاملة الجمع ، وجمع المؤنث معاملة جمع المذكر فى وصفهما والاشارة اليهما ووجوع الضمائر عليهما (دول ولدين كويسين ، الولدين راحو فين ، الستات دول طيبين ، الستات جم) ، ويكادون يلتزمون استخدام الجمل الاسمية حتى فى المواطن التى تقتضى استخدام الجمل الفعلية (الراجل جه ، محمد بيزاكر = جاء الرجل ، يذاكر محمد) ٠ وهذه كلها طرائق مقصورة على عامية القاهرة وضواحيها ، وتختلف اختلافا غير يسير على الطرائق المستخدمة فيما عدا هذه المنطقة من بلاد الصعيد والوجه البحرى، وتختلف كل الاختلاف عن الطرائق المستخدمة فى البلاد الاخرى ٠

***

ومن هذا يتبين أن اللغة التى يستخدمها انصار العامية فيها نصيب من الفصحى ونصيب من العامية . ولذلك سميناها اللغة «الفصعمية» بنحت هذه الكلمة من كلمتى (الفصحى) و (العامية) .

***

وغنى عن البيان ان لغة هذا شأنها ، حتى مع تحككها بالعربية الفصحى ومع مااقتبسه منها من مفردات وطرائق تعبير ، لاتصلح أن تكون لغة كتابة ولا تصلح لأى فرع من فروع الآداب ولا العلوم ٠ ويرجع عدم صلاحيتها لذلك الى اعتبارات كثيرة من اهمها مايلى :

١ ــ انها تسير على غرار لهجة معينة من لهجات المحادثة فى المفردات والاصوات واوزان الكلمات وقواعد التركيب . وهى بذلك لاتكون مفهومة حق الفهم الا لأهل المنطقة التى تسير على غرار لهجتها ، بينما تكون غريبة بعض الغرابة على غير اهل هذه المنطقة من الدولة نفسها ، وغريبة كل الغرابة على اهل البلاد العربية الاخرى . فاللهجة التى يستخدمها المتعصبون للعامية من المصريين مثلا فيما يكتبون ومايقولون ، وهى لهجة القاهرة وضواحيها ، لاتفهم حق الفهم الا لأهل هذه المنطقة بينما تبدو غريبة في كثير من الأمور امام عدد كبير من اهل الصعيد والوجه البحرى ، وتبدو غريبة كل الغرابة على غير المصريين من العرب ، وخاصة اهل البلاد الذين تبعد عاميتهم عن عامية اهل القاهرة كالمغرب والعراق . ــ وقد كتب احد المتعصبين للعامية من رجال الصحافة المصريين رسائل بعث بها من امريكا الى صديقه «درش» يصف فيها الولايات المتحدة : بلادها ومظاهرها المادية واهلها واخلاقها ونظمها ، وحررها باللهجة العامية المستخدمة فى القاهرة وضواحيها ، ونشرها في اوسع صحفنا انتشارا ــ ومااوسع الحرية المعطاة اليوم لهؤلاء !! ــ فجاءت رسائله ، فوق ركاكتها وتفككها وثقلها وخلوها من صفات البلاغة وصعوبة قراءتها ، غير مفهومة لأهل أى بلد عربى آخر ، بل غير مفهومة لكثير من سكان الجمهورية العربية نفسها . فاستبدال العامية بالفصحى في الكتابة والآداب والعلوم يقتضينا اذن ، حتى يكون مانكتبه وما نقوله مفهوما لمن نكتب لهم ومن نتحدث معهم ، ان نصطنع لكل منطقة ، بل لكل مدينة بل لكل قرية ، لغة كتابة وآداب وعلوم تتفق مع لهجة حديثها . وبذلك يصبح فى البلاد العربية آلاف من لغات الكتابة والآداب والعلوم بمقدار ما فيها من مناطق ومدن وقرى . وتصبح اللغة المستخدمة فى الكتابة والآداب والعلوم فى بلد ما غير مفهومة الا لأهل هذا البلد٠ولعل هذه الفوضى هى التى يريد خصوم العرب من الشعوبيين والمستعمرين وعملائهم أن تتحقق في البلاد العربية

بما يدعون اليه من احلال العامية محل العربية الفصحى ·

٢ ــ أن اللهجة العامية المستخدمة في بلد ما غير ثابتة على حال واحدة ، بل هي عرضة للتطور في أصواتها ودلالاتها ومفرداتها وقواعدها · وتطورها هذا سريع جدا ، حتى اننا لنجد في العصر الواحد فروقا غير يسيرة بين عامية الشبان وعامية الشيوخ· وتتسع هذه الفروق كلما تقادم العهد ، فكثير من الكلمات والعبارات العامية التى استخدمها الجبرتى مثلا فى تاريخه والتى كانت متفقة مع لهجة القاهرة فى عهده قد أصبحت غريبة علينا فى العصر الحاضر، مع أنه لا يفصلنا عن عصره الا زهاء قرن واحد · فاذا فرضنا أننا اصطنعنا فى الكتابة والآداب والعلوم اللهجة العامية التى نستخدمها الآن فاننا لانلبث ، بعد وقت غير طويل ، أن نرى لغة الكتابة غريبة علينا ، وذلك أن لغة الحديث سوف تتطور وسوف ينالها كثير من التغير في أصواتها ودلالاتها وقواعدها واساليبها ، ولن تزال كذلك حتى تبعد بعدا كبيرا عن لغة الكتابة ، فنصبح واذا بنا نكتب بلغة ونتخاطب بلغة أخرى ، فنضطر حينئذ ، وفقا لمنطق المتعصبين للعامية وهو تحقيق الوحدة بين لغة الحديث ولغة الكتابة ، أن نصطنع لغة كتابة تتفق مع آخر وضع للهجة حديثنا ، وهكذا دواليك نضطر على رأس كل خمسين سنة أو كل قرن ــ على أبعد تقدير ــ الى تغيير لغة الكتابة والآداب والعلوم بلغة أخرى فى كل منطقة من مناطق الوطن العربى ــ ولعل هذه الفوضى هى التى يريد خصوم العرب من الشعوبيين والمستعمرين وعملائهم أن تتحقق فى البلاد العربية بما يدعون اليه من احلال العامية محل الفصحى ·

٣ ــ أن تجرد اللغة « **الفصعمية** » من علامات الاعراب يجعلها قاصرة كل القصور عن الابانة عن وظيفة الكلمة فى الجملة · وذلك أن وظيفة الكلمة فى الجملة ــ أى كون مدلولها فاعلا أو مفعولا أو حالا أو تمييزا أو مضافا اليه أو خبرا أو شرطا أو جوابا ·· الخ ··

كل ذلك يستبين فى العربية الفصحى بعلامات تلحق الكلمة نفسها وتكون جزءا منها · وهى علامات الاعراب ، وبذلك تظهر فى صورة واضحة دقيقة وظائف الكلمات وعلاقاتها بعضها ببعض ومدلول العبارة فى جملتها ، ويظهر هذا كله بدون حشو ولا اقحام كلمات ولا اعتماد على ايحاء السياق أو على قرائن خارجة أو على الحدس والتخمين · وهذه سمة من أبرز السمات التى تمتاز بها اللغات الراقية · على حين أن « الفصعمية » ، لتجردها من علامات الاعراب لاتفهم من عباراتها هذه الامور الا عن طريق ترتيب الكلمات فى الجمل ، وتطويل الجملة باقحام كلمات منها ، والاعتماد على ما يوحى به السياق ، وتهدى اليه القرائن الخارجة ، ويرشد اليه الظن والاجتهاد · وأداة هذا شأنها لاتقوى مطلقا على التعبير عن المعانى الدقيقة ولا عن حقائق الآداب والعلوم والانتاج الفكرى المنظم ، ولا تستطيع سبيلا الى ايصال الحقائق الى الاذهان فى وضع واضح مبين ·

٤ ــ أن تجرد اللغة «**الفصعمية**» من قواعد البلاغة الخاصة بمطابقة الكلام لمقتضى الحال ومن أدوات تحقيق هذه المطابقة يجعلها غير صالحة لان تكون أداة لشعر ولا نثر فنى ولا خطابة ولا رواية ولا أى فرع من فروع الآداب ، فان قوام هذه الفروع كلها يتمثل فى بلاغة القول ، وروعة التعبير ، وقوة التأثير فى النفوس ، وحسن الابانة عن المقاصد · ولا يتحقق شيء من هذا كله الا بوجود قواعد تكفل مطابقة الكلام لما تقتضيه أحوال التعبير ووجود أدوات تستخدم لتحقيق هذه المطابقة ·

٥ ــ أن «**الفصعميين**» يقيمون ، هم انفسهم ، فيما يكتبون ، وما يقولون بهذه اللغة أقطع دليل على قصور العامية ، وفقرها المدقع ، وعجزها عن أن تكون أداة صالحة حتى لأحط مستوى فى التعبير الادبى ، كالمستوى الذى يهبطون اليه فى كتاباتهم · وذلك أنهم لا يجدون فى المفردات العامية المتداولة ما يكفى للتعبير عما يريدون التعبير عنه ، فيلجئون الى العربية الفصحى يقتبسون منها مفردات كثيرة لاتستخدمها لهجات المحادثة ، ولا يجدون فى طرائق التعبير العامية ما يضفى على كتاباتهم واقوالهم اية مسحة من صفات الانتاج الادبى ، فيلجئون كذلك الى العربية الفصحى يقتبسون منها طرائق تعبيرها فى الاستعارة والمجاز والكناية والتمثيل وما الى ذلك فمع عداوتهم للعربية الفصحى لايجدون مناصا من مد أيديهم اليها واستدرار احسانها · ولولا ماتجود عليهم به من فتات موائدها لتقطعت بهم الاسباب وضاقت عليهم سبل التعبير ·

« د · علي عبد الواحد وافى »

الاسلام وتطوير المجتمع

للدكتور : أحمد كمال ابو المجد

– ٢ –

ذكرنا فى مقالنا السابق ان حظنا من معالجة موضوع الاسلام وتطوير المجتمع – يقتصر على الوقوف بالقارىء وقفات هادئة عند بعض القضايا التى تتصل بالاسلام وبطبيعته وتصوره الشامل للحياة .. ومع بعض القضايا الأخرى التى تتصل بالمجتمع وما يحكم علاقات الناس فيه من سنن وقوانين ، وذلك ايمانا بأن كل جهد يبذل لتوضيح هذه القضايا والقاء المزيد من الضوء عليها يعد خطوة فى طريق المواجهة المباشرة للقضية الاساسية التى نطرحها وهى قضية الاسلام وتغيير المجتمع .

ووقفنا بالقارىء فعلا – عند قضيتين : قررنا فى الأولى منهما ان الاسلام ليس مجرد تراث لهذه الامة ، وبينا فى الاخرى ان الاخذ بالاسلوب العلمى فى تطوير المجتمع وعلاج مشاكله لايقتضى التزام مذهب معين من المذاهب المعروفة ، ولا يعنى الانحياز لنموذج بعينه من نماذج العمل لتغيير المجتمع .

واليوم نعرض لقضيتين تتمان هذا الحديث المجمل الذى أردنا به ان نضع المشكلة فى مكانها الصحيح وأن نحدد زواياها وابعادها التى ينبغى – فى تقديرنا – ان تكون حدودا للمناقشة الجادة والبحث الموضوعى الامين .

القضية الثالثة : ان مفهوم التقدم فى التصور الاسلامى مفهوم أصيل ومركب فى نفس الوقت .

(أ) فهو أصيل بمعنى ان التسليم بحركة المجتمع وتطوره لا يعنى بذاته ان هذه الحركة تحقق وحدها تقدما للمجتمع .. واذا كان المنهج الديالكتكى فى تصوير حركة المجتمع يفترض ان خدام المتناقضات فى الجماعة يؤدى بالضرورة الى خلق أوضاع جديدة تعتبر تحسينا للظواهر المتناقضة ، بحيث تكون حركة المجتمع – من هذه الناحية حركة تقدمية على طول الخط ، وبحيث تكون التركيبات الاجتماعية والاقتصادية الجديدة أكثر توافقا مع الظروف الجديدة للمجتمع ، وهى الظروف التى صاغها صراع المتناقضات فيه ، نقول انه اذا كان هذا هو مفهوم التقدم كما يتصوره المنهج ، الديالكيتكى ، فاننا – نحن المؤمنين – لا نستطيع أن نعتنق هذا التصوير على اطلاقه لانه ينزع من حركة المجتمع كل مضمون داخلى ، ويجرد القيم السائدة فيه من كل وجود ذاتى .

ان حركة المجتمع لايمكن – وفقا للتصور الاسلامى – ان تعتبر تقدما الا اذا كانت تقترب بهذا المجتمع من غاية معينة ، وهذه الغاية فى مفهوم الاسلام هى توكيد القيم الانسانية المطلقة التى جاء لتوكيدها فى حياة الناس. ان انزال الكتب وارسال الرسل انما جاء كما تقول الله تعالى «ليقوم الناس بالقسط» ، ودين الله جاء كما تقول الله «دينا قيما» ، ومعنى هذا كله – فى ايجاز – ان دين الله هو الذى يحدد – فى الاساس – الاتجاه العام الذى تقاس اليه حركة المجتمع فى تطوره ، والذى توصف على اساسه بالتقدم أو بالرجعية . ومن العسير بل من التناقض الذى يكلف الاشياء ضد طبائعها ان يطالب المؤمنون بفهم غير هذا الفهم لحقيقة التقدم ومعناه . ان مفهوم التقدم من وجهة النظر الاسلامية لابد اذن أن يتحدد فى ضوء التصور الاسلامى العام للحياة ، وللانسان ، ولمصالحه وعلاقاته . وكل تقدم المجتمع فى اتجاه مضاد لمقتضيات هذا التصور لايمكن أن تكون فى المفهوم الاسلامى غير ردة وانتكاس ورجعية ، او هو

ـ بالتعبير الاسلامي ـ رجوع الى الجاهلية «أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون » .

(ب) ثم ان مدلول التقدم في الاسلام فوق ذلك مدلول مركب وشمولي لأنه لا يقوم على قياس حركة المجتمع من زاوية تركيباته السياسية والاقتصادية وحدها ، وانما هو يزن تلك الحركة من زاويةموقف شمولي مستمد من النظر الى حياة الانسان نظرة شمولية مستغرقة تستوعب من هذه الحياة جوانبها المادية والاقتصادية ، وجوانبها المعنوية على حد سواء ، ومعنى هذا أيضا ان التقدم بمدلوله المادي وحده قد لايكون تقدما اذا قيس بمقياس هذه النظرة الشمولية .. فالخروج بحياة الناس من صورها البدائية التي وقف الانسان فيها عاجزا ازاء كثير مما يحيط به ، الى صور جديدة مركبة يسخر الانسان فيها الطبيعة ويتحكم فيها ٠٠ لا يعتبر تقدما في مفهوم نظرة الاسلام الشمولية ـ الا بقدر ما فيه من توجيه هذا التسخير الى حيث القيم التي يريدها الاسلام ويدعو الى توكيدها . ان حركة المجتمع بعبارة اخرى ـ لاتكون تقدما ـ الا بقدر ماتنطوي عليه من رشد .. والتقدم المادي بمظاهره كلها ـ ليس في ذاته دليلا على هذا الرشد .. يقول تعالى : « أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، واذا بطشتم بطشتم جبارين ، فاتقوا الله واطيعون ، واتقوا الذي امدكم بما تعلمون » وظاهر من سياق الآية انها لا تعترض على البناء والتعمير ، وانما تعترض على البطش والتجبر بغير الحق ... كما تكشف عن حقيقة المفهوم الاسلامي للتقدم ، وهو المفهوم الذي يقيم حركة المجتمع بقدر ما فيها من رشد ، وهذا ـ في يقيني ـ هو المفهوم الشمولي الذي اهتدى اليه ـ في الجمهورية العربية المتحدة ـ ميثاق العمل الوطني حين قرر أنه « اذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة ، فان الحوافز الروحية والمعنوية هي وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد »

القضية الرابعة : ان ربط حقيقة التقدم بالتصور الاسلامي على النحو المتقدم ، لا يعني ـ كما يتوهم البعض ، ان يكون الدين ـ بما فيه من نصوص قطعية في أمور محددة على الأقل ، عقبة في وجه تطور المجتمعات ، وقيدا على حقيقتها . ونلاحظ ـ قبل الدخول في موضوع هذه القضية الرابعة ـ أن هذا الوهم يعكس في حقيقته أمرين :

(أ) فهو يعكس أولا مفهوما آليا للتقدم الذي يرى في كل تطور تقدما أو يؤمن بوجود قانون حتمي الى يحكم حركة المجتمع بحيث تجرى دائما في اتجاه تقدمي .

(ب) وهو قد يعكس ثانيا تصورا معاديا للدين او منكرا لوظائفه الاجتماعية الحيوية على أقل تقدير ، بحيث لايرى فيه الا نظاما تاريخيا خادما لأهداف وضعية تاريخية معينة ، بحيث ينبغي ان يزول بزوالها ، وان يتنحى تماما عن محاولة التدخل في مشاكل المرحلة التاريخية التالية .

واذا كنا قد نقضنا هذه التصورات فيماقدمناه عن حقيقة التقدم وعن مدى جواز النظر الى الاسلام على انه «تراث» ٠٠ فان مما يعين على وضوح الرؤية في هذه القضية أن نلقي بعض الضوء على حقيقة معنى الثبات في الاسلام وعلى حقيقة نظرته الى « التطور » . فالاسلام لا يقف من التطور موقفا عاما معاديا ، كما يتوهم الكثيرون وانما يحتاج الأمر الى شيء من الضبط ومن التحديد عند الكلام على قضية التطور ٠٠ ان الاسلام بمفهومه الكامل هو اقامة نظام الكون كله وفق سنن الله وأوامره ٠٠٠ واذا كانت « الحركة » هي سنة الله في كونه فان من مظاهر موافقة الاسلام لسنة الكون أن يلاقي هذه الحركة الكونية بحركة تنظيمية وتشريعية ٠ فاذا كانت الأفلاك « تجرى لمستقر لها » ، واذا كان « الشمس والقمر دائبين » واذا كان من آياته انك « ترى الأرض تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » واذا كانت حياة الناس وعلاقاتهم هي الاخرى حركة وتطورا فقد كان من الطبيعي أن يعالج الاسلام المجتمع على انه هيكل يتطور بتطور مكوناته المادية والبشرية ، وبتدافع القوى المختلفة القائمة فيه ، وهو تدافع يشير اليه قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ، وتحكمه سنة جارية تنقل بها السيادة من فريق الى فريق : « ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » « وتلك الأيام نداولها بين الناس » بل ان تعدد

رسالات الله تعالى ، واختلاف تفصيلات الشرائع التى جاء بها رسل الله عليهم صلواته ليكشف في ذاته عن ضرورة ملاقاة الحياة المتجددة بتنظيمات وتشريعات متجددة .

على ان الايمان بتطور المجتمع يفتح الباب فكريا وعمليا أمام سؤال خطير ، وهو : كيف يتأتى لنصوص الاسلام الثابتة ان تلاقى حركة المجتمع المتطور المتغير ، واين يذهب المؤمن المخلص بقوله تعالى :

«لامبدل لكلماته» وقوله تعالى : «اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » ..

وتلك قضية نرجو أن نفرد لها بحثا مستقلا ..

ولكن حسبنا هنا أن نشير الى ان الاسلام كان هنا كذلك موافقا لسنن الكون فلاقى بمرونة مصادره حركة المجتمع في تطوره .. وذلك في الوقت الذى مثلت فيه بعض النصوص عنصر الثبات الذى يلاقى الجوانب الثابتة من خلق الله ومن فطرة الله التى فطر الناس عليها ، « لا تبديل لخلق الله » فالى جوار نصوص الكتاب ونصوص السنة الثابتة الواردة فى امور التشريع فتح الاسلام منافذ تشريعية متعددة يمكن من خلالها للفقه الاسلامى ــ بمعناه الاعم الاشمل ــ ان يتطور وان يستمر موجها للمجتمع المتطور ..

وفي مقدمة هذه المصادر اجماع العلماء .. والقياس .. والتشريع بالمصلحة المرسلة ... على ما نرجو ان نفصله فى البحث القادم .. وانما نحب أن نشير هنا الى حقيقتين خطيرتين :

الاولى : أن مرونة الاسلام ليست مطلقة ... ولو كان فى وسع المجتهدين أن يطوعوا نصوص الاسلام واصوله لكل تطور واقع في المجتمع .. لما كان لنزول الشرائع السماوية معنى على الاطلاق ولما كانت تلك الشرائع غير دعوة عامة الى الخير والصلاح .. ولكان التطور ــ فى الحقيقة ــ متحكما فى الشريعة .. ولكان الأمر تحكما للهوى فى دين الله. «ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والارض» .. ومن هنا يسقط العقل كما يسقط النقل الثابت مذهب الذين ينحون الدين ــ جملة واحدة ــ عن حياة المجتمع ، ويحرفون الكلم عن مواضعه متعللين بقول الرسول (ص) : « أنتم اعلم بأمور دنياكم » .

الاخرى : ان نصوص الاسلام ليست سواء فيما تقوم به من عملية « تثبيت » بعض القيم والاوضاع فى حياة المجتمع .. ذلك ان من الثابت بالمشاهدة والتأمل في نصوص الكتاب والسنة ان منها نصوصا تجمل القول وتقرر مبادىء عامة تتسع فى داخلها لاستيعاب أوضاع متفاوتة ، ومثل هذه النصوص تفسح بذاتها مجالا لحركة المجتمع وتطوره فى اتجاه الرشد الذى حدده الاطار الثابت فيها . ومنها نصوص أخرى محددة مفصلة بحيث تمثل على نحو مطلق او شبه مطلق عملية (التثبيت) في المجتمع . وهذه النصوص لاتخرج عن أن تمثل احد فرضين :

(أ) الفرض الاول . ان تكون معبرة عن أوضاع او متطلبة لأوضاع يمكن أن يلحقها الثبات رغم تطور المجتمع .. فالنصوص التى تحدد عدد ركعات الصلاة مثلا .. او مدة عدة المطلقة من زوجها ... تعالج ــ فى حقيقتها ــ امورا يعلم الشارع سبحانه وتعالى انها ليست مما يحتاج الى التغيير بتغير التركيبات المادية للمجتمع .

(ب) الفرض الثانى : ان تكون متصلة بأمور مما يتصور أن تخضع للتبديل والتغيير مع تغير أوضاع الناس . ولكن الشارع سبحانه وتعالى قدر أنها ترتبط ارتباطا أساسيا بالقيم التى جاءت الشريعة كلها بتوكيدها ، وبذلك يكون تثبيتها جزءا أساسيا من وظيفة الدين فى ترشيد حركة المجتمع .

وهذا النوع من التكاليف هو الذى يردفه الشارع سبحانه في كثير من الآيات بقوله : « والله يعلم وانتم لا تعلمون » أو بمثل قوله : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم » .

وهذا النوع ــ فى الحقيقة ــ قليل اذا قورن بالنوع الاول ، وهو يمثل « النصوص الدستورية الجامدة فى نظام الاسلام» على مايقول التعبير الحديث ... وهو ما يسميه الله تعالى حدود الله باعتبارها الضمانات الثابتة لا لتزام حركة المجتمع بعقيدة الاسلام وشريعته .

د. احمد كمال أبو المجد

المجتمع الاشتراكي والتفرقة العنصرية

للدكتور عبد العزيز كامل

(٢)

فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ظهر فى الفكر الاوربى اتجاهان ينادى اولهما بالمساواة بين الناس ويؤيد الوحدة الجوهرية للانسان . وبدا هذا فى كتابات فولتير وجان جاك روسو . واتجاه ثان ينادى بعدم المساواة بين الناس . والى هذا ذهب هيوم ومنتسكيو . وكان من المنطقى بعد ان فضل البيض انفسهم على سائر الناس ان يبحثوا عن العنصر السيد بينهم .. وان يحاولوا معرفة سيد السادة .

وظهرت الدعوة الى القول بتفوق الجنس الآرى او النوردى (الشمالى) او الهندى الاوربى . وكان الاصطلاح لغويا فتحول الى عنصرى على يد ماكس ميلر وعاد فجعله لغويا . وهناك خلاف بين الذين عرضوا لهذا الموضوع على مدلول الآرية ووطنها وانتشارها .

ولعل **جوبينو الفرنسى** كان من ابرز من نادوا بها فى القرن التاسع عشر (١٨١٦ ــ ١٨٨٢) فقد نشر بحثا عن عدم المساواة بين العناصر البشرية ذهب فيه الى أن الاختلاط بين العناصر له نتائج مفزعة . وحصر الحضارات البشرية فى عشر ؛ ست منها من انتاج العنصر الآرى وهو العنصر او السلالة الأكثر رقيا ، وهذه الحضارات هى الهندية والمصرية والآشورية والاغريقية والرومانية والجرمانية ، اما الاربع الباقيات فهى الصينية والمكسيكية وحضارتا بيرو فى امريكا الجنوبية والمايا فى شبه جزيرة يوكاتان فى امريكا الوسطى ، فهذه من انتاج الجنس الابيض بعد اختلاطه بسلالات أدنى منه . ويختتم جوبينو رأيه هذا بقوله : أن من بين علامات الانهيار فى الاجناس الخليطة ظهور وانتشار فكرة المساواة والحركات الديموقراطية وغيرها . كما يرى أن الاختلاط تتولد عنه مخلوقات ثانوية لا اهمية لها بين البشر .. رجال يتميزون بعقلية القطيع وشعوب استكانت لنوم مهلك .

واعتنق الالمان هذه النظرية وكانت دوافع جوبينو طبقية ضد العمال . وحاولت الارستقراطية فى كل مجتمع أن تنتسب الى الآرية وتعسفوا فى اثبات ذلك تاريخيا .

ولم يكن جوبينو واضحا فى تحديد الآرية . وقام بذلك تلاميذه مثل هستون تشمبرلن . وكان انجليزيا ، ومن أشد الناس تحمسا للعنصر الألمانى وبالتالى تأييدا لنظرية تفوق العنصر النوردى الاشقر ذى الراس الطويل واستخدم اصطلاح العنصر التيوتونى والدم التيوتونى لهذا العنصر المتفوق . وحول مذهب جوبينو الخاص برقى وتفوق طبقة اجتماعية الى مذهب صريح ينادى بتفوق شعب معين . وسار فى هذا شوطا بعيدا فافترض أن الله اختص النوردى برسالة عليه أن يؤديها . وبذلك أصبح التيوتون ارستقراطية الاجناس البشرية على حين أصبح العنصر اللاتينى عنده مجموعة بشرية متدهورة ، وخلص الى القول بأن الحضارة الاوربية حتى فى البلاد التى تسكنها الشعوب السلافية واللاتين هى من عمل العنصر التيوتونى . ويشتد فى مذهبه فيقول « انه مالم تتسرب الدماء التيوتونية فلن تنشأ حضارة بمعناها الذى نفهمه » .

ونستطيع أن نتابع دراسة هذه الآراء الشاردة فى كتاب « جوان كوماس » الذى أشرنا اليه فى المقال السابق وكتاب هرتس عن العنصر والحضارة ، وكيف تعسف تشمبرلن فى نظريته وتفسيره التاريخ وكيف ان نفرا من كبار الشخصيات فى التاريخ عنده لا تعدو اختلاط الدماء التيوتونية بالدماء الداكنة للأجناس الجنوبية !! وهذه الطبقة من أعلام

التاريخ تضم أمثال : دانتى ورفائيل ميكائيل انجلو وشكسبير • وتصفهم النظرية بأنهم عباقرة لا بسبب اختلاطهم ، ولكن بالرغم من اختلاطهم ، وان مواهبهم الطبيعية تمثل ما ورثوه عن الدماء التيوتونية التى تجرى فى عروقهم • حتى بولس الرسول أدخلوا فى عروقه دماء تيوتونية وأن احد أبويه لابد أن يكون يونانيا . وامتد هذا الى سكان جبل الجليل ومريم البتول عليها السلام .

وتمشى القول بالتفوق العنصرى فى القرن التاسع عشر مع العدوان الاستعمارى الذى بلغ ذروته فى مؤتمر برلين ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ وبدء الفترة التى عرفها التاريخ الاستعمارى باسم « التكالب على افريقية » والتى امتدت فيها المطامع من شواطىء القارة الى قلبها بعد أن مهدت لها الكشوف الجغرافية والشركات التجارية والبعثات التبشيرية وبعد أن كان الافريقيون يباعون رقيقا فى أسواق العالم الجديد ، جاءت مرحلة استرقت فيها أوربا القارة بما فيها ومن فيها ، ولم تستطع افريقية أن تستعيد استقلالها السياسى الا بعد منتصف القرن العشرين • ذلك لان القول بتفوق العنصر الآرى أو النوردى والمناداة باستعلاء شعب على الدنيا أو لون على لون كان مما زاد حدة التوتر الدولى ، ولم يكن من مظاهره الصراع الاستعمارى فوق ارض افريقية فقط ، وانما كانت أوربا التى نادت بالتفوق العنصرى ميدانا من ميادين الصراع الكبرى حين حاولت العناصر التى آمنت انها متفوقة أن تمارس تفوقها عمليا وبقوة السلاح .

وبعد الحرب العالمية الاولى ورغم مادفعته البشرية فيها من ثمن وماسال فيها من دماء ، رفعت نظريات العنصرية رأسها ، واشتد هذا فى المانيا ، وذهب «دايمر» الى اقامة نظام طبقى مبنى على نسبة الدم الجرمانى . واقترح ثلاث طبقات : طبقة عليا تتمثل فيها الدماء التيوتونية النقية وتتمتع بكل المزايا السياسية والاجتماعية ، وطبقة وسطى فيها بعض الدم الالمانى ، وهذه تتمتع بحقوق وامتيازات محدودة ، وطبقة غير الالمان ، وهذه يجب أن تحرم من كل الحقوق السياسية • واقترح دايمر ابادتهم بتعقيمهم فلا يلدون ، وذلك لتأمين الدولة وضمان استمرار الحضارة الالمانية .

وحمل جاوخ ـ فى المانيا ـ لواء هذا التعصب العنصرى ، فذكر عام ١٩٣٣ فى كتاب له ان الاختلافات التشريحية والهستولوجية (مايتعلق بالشعر والعظام والاسنان والجلد) بين الانسان والحيوان أقل مما عليه بين العنصر النوردى وبقية أجناس العالم . ولم يطلق جاوخ هذا القول دون ان يحاول اثباته «علميا» فهو يقول : ان النورديين وحدهم هم الذين يمتلكون القدرة على الكلام بطريقة صحيحة ، وهم وحدهم القادرون على الوقوف فى الوضع الصحيح.

والى جانب نظريات تمجيد التيوتون ظهرت فى أوربا نظريات تنادى بتمجيد الانجليز السكسون ونظريات تنادى بتمجيد الكلتيين ، وهذه النظريات الاخيرة فروع من النظرية الآرية العامة ظهرت فى فرنسا بعد حرب السبعين فى أواخر القرن التاسع عشر ، وحاولت أن ترفع فرنسا الى منزلة فوق العناصر البيضاء جميعا ..

وامتدت هذه الرياح المسمومة الى العالم الجديد ، وظهر فى امريكا كتاب لايقلون تعصبا عمن رأينا فى أوربا . من هؤلاء ماديسون جرانت فى كتابه عن العنصر العظيم (١٩١٦) وكان من الاسباب التى أدت الى تعديل نظم الهجرة الى الولايات المتحدة ابعاد العناصر غير المرغوب فيها • ويعلو جرانت فى كتابه هذا بالعنصر النوردى الى اعلى المنازل ويرى أن اختلاطه بأى عنصر آخر ينتج نتائج سيئة بالنسبة الى العنصر الاعلى • ويعزز جرانت رأيه فى تفضيل الجنس العظيم بأن النورديين من اشد الناس بلاء فى الحروب ويبنى رأيه على تحليل صفات الالمان الذين ساهموا فى حرب التحرير الامريكية .

ودعا ستودرد (١٩٢٢) فى كتابه « ثورة ضد الحضارة» الى تدعيم نظرية التفوق الشمالى قائلا « ان نسبة الدم النوردى فى أمة مقياس صادق لقوتها فى الحرب ومكانتها فى الحضارة .

نستطيع الآن أن ندرك التمزق الذى تسببه نظريات التفوق العنصرى للمجتمعات البشرية . وكيف ان لهب هذه النظريات لم يقتصر على قارة دون قارة وانما امتد فشمل العالم وكان من الاسباب التى ادت الى الحروب العالمية والمحلية ، وفيها دفعت الانسانية ثمن اخطاء نشأت فى عقول نفر من العلماء والفلاسفة البيض ، واعتنقتها دول حاولت أن تفرض نفسها على الحياة والتاريخ .

وبالرغم من أن العصبية العنصرية ، لا تقوم على أساس علمي ــ وسنناقش ذلك فيما بعد بشيء من التفصيل ــ فان المشكلة لاتزال قائمة تحمل الينا الصحف والاذاعات أخبارها وبخاصة من الولايات المتحدة الامريكية وجمهورية جنوب افريقية والمستعمرات البرتغالية .

ففى الولايات المتحدة يوصف الشخص بأنه زنجي اذا كان احد أجداده الثواني ــ وعددهم ستة عشر ــ زنجيا . هذا دون نظر الى صفاته الجسدية فقد يكون الفرد فى الولايات المتحدة اشقر ، ازرق العينين ، رقيق الشفتين ، وهو مع هذا زنجي . فكلمة زنجي بهذا المفهوم ليس لها اية دلالة بيولوجية ، ولكن تطلق على كل فرد هناك له مميزات اجتماعية معينة . ويذكر ارنولد روز (١٩٥٧) فى كتابه «الزنجي فى امريكا » أن البيض فى امريكا هم الذين يحددون مدلول الزنجي . فاى اثر من دم زنجي انحدر الى فرد من أسلافه يكفي لاثبات انه زنجي .. أما الابيض فلابد أن تكون دماؤه «بيضاء» ١٠٠٪ . وهذا التحديد يختلف فى امريكا التيوتونية عما فى بقية امريكا . ففى أمريكا اللاتينية يعتبر ابيض من ليس بأسود . أما فى الاقطار التى كانت خاضعة للنفوذ البريطاني فان الفرد الخلاسي (الذى ينحدر من ابوين أحدهما ابيض) له منزلة بين المنزلتين ، ويمثل جماعة توضع فى السلم اجتماعى بين السود والبيض ، وبهذا يختلف تحديد الزنجي فى الولايات المتحدة اختلافا واضحا عن بقية أجزاء العالم ، فاذا ضممنا الى ذلك نظريات الاستعلاء العنصري التى ظهرت فى كتابات جرانت وستوردر ــ على سبيل المثال ــ استطعنا أن ندرك جانبا ما حدة المعركة التى قامت ولازالت مستمرة من أجل اثبات كرامة الانسان فى الولايات المتحدة . ويسوق ارنولد روز هذه الاختلافات فى تحديد مدلول الزنجي ليدلل بها على أن التحديد لا يستند الى اى اساس بيولوجي وانما هو تحديد اجتماعى وضعى . وقد فقد مفهوم « العنصر » فى الدراسات البيولوجية والانثروجرافية الحديثة حدته القديمة وبدأ يختفى من الدراسات الجادة ، ولا يكاد يستخدم الا فى دراسات الجماعات البشرية الشديدة العزلة والتخلف ، والتى يظن أن بها نقاء جنسيا . وبعبارة اخرى فان المدلول العلمى للعنصر لا يمكن تطبيقه فى الاقطار التى تثور فيها مشكلات العنصرية ولايمكن فى مجال البحث العلمى ان يقبل القول بوجود عنصر امريكى أبيض أو جرمانى أو انجليزى سكسونى .. بل ان اصطلاح العنصر الامريكى الابيض أصبح ــ كما يذكر ارنولد روز ــ أضحوكة حتى عند الذين لم يحصلوا الا على قدر قليل من التعليم وان كانت حدته لاتزال قائمة فى جنوب الولايات المتحدة . ولكن هناك فرقا كبيرا بين أن يقتنع الانسان أو المجتمع «عقليا» بامر ، وان يتحول هذا الاقتناع الى اسلوب فى الحياة .

واذا ما انتقلنا الى الجانب العلمى للموضوع وجدنا أن النقاط التى يستند اليها مؤيدو الاستعلاء العنصرى هى الادعاءات الآتية :

١ ــ الصغر النسبى لحجم مخ الزنجي عن الاوربى

٢ ــ رائحة الجسم عند الزنجي

٣ ــ ظاهرة بروز الفك الأعلى

وواضح أن الادعاء الاول مرتبط بالذكاء ، اى ان البيض يذهبون الى انهم اشد ذكاء من السود . وما دام ذلك كذلك فان السود لن يستطيعوا أن يرتفعوا الى مستواهم ، ولابد اذن من وجود نوع من السيادة او القوامة على الاجناس الملونة . وقد يتمثل ذلك فى حرمانهم من مناصب أو مسئوليات خاصة بحيث تظل ادارة دفة الدولة فى يد البيض . وبذلك تهدر الدولة التى تتبع التفرقة العنصرية النظام الديموقراطى عمليا وان نادت به نظريا ونص قانونها على المساواة الكاملة بين المواطنين . ومع اهدار الديموقراطية السياسية تهدر معها أيضا الديموقراطية الاجتماعية حين تضيق عمليا فرص الحياة أمام الفرد بسبب لونه .

ويذكر رنولد روز تجربة عملية تبين كيف يعبث بعض العلماء بكرامة العلم من أجل تأكيد التفرقة العنصرية ويزيفون الحقائق والنتائج . وهذه التجربة نشرت فى المجلة الامريكية للتشريح (فبراير ١٩٠٩) . فقد كان للاستاذ فرانكلين مول طالب من الولايات الجنوبية فى الولايات المتحدة يعمل معه فى جامعة جون هوبكنز وقام هذا الطالب ــ وهو روبرت بين ــ بدراسة قال فيها : ان حجوم الجمجمة والمخ عند الزنوج أصغر من نظائرها عند البيض وأقل قدرة وبعد أن نشر « روبرت بين »

نتائج بحثه ، اعاد فرانكلين مول قياس العينات التى درسها تلميذه فوجد ان المقاييس غير صحيحة ومحرفة وبالتالى كانت نتائجها خاطئة .

وقد دلت ابحاث ليكى فى افريقية وشتيجردا فى زنوج جزيرة جمايكا — من جزر الهند الغربية — على ان تجويف جمجمة الزنجى ليست اقل اتساعا من تجويف الجمجمة عند الابيض وانها اكبر فى بعض الحالات .

ويلخص جوان كوماس النتائج التى وصل اليها الاستاذ كولبر وجى فى ابحاثه عن تكوين المخ وفيها استفاد من نتائج ابحاث اخرى قام بها نفر من كبار علماء السلالات البشرية فيقول :

١ — ان ثقل الجزء الامامى من المخ الذى يعد مركز الذكاء هو ٤٤٪ من وزن المخ كله **بين النساء والرجال وبين البيض والسود**

٢ — لم تلاحظ اية اختلافات بين الأجناس والسلالات البشرية المختلفة فى وزن المخ ، ولكن لوحظت اختلافات فى وزن المخ بين افراد السلالة الواحدة

٣ — لم يثبت أن الافراد الذين اشتهروا بقوى عقلية ممتازة كانوا من ذوى الامخاخ الكبيرة الحجم او الاثقل وزنا عن المعدل

٤ — لم يصل العلم الى كشف اختلافات فى لفائف المخ بين السلالات المختلفة ، وهذه نقطة هامة وكانت دعامة أساسية من دعامات التفرقة العنصرية فكل الاختلافات فى لفائف المخ وجدت فى كل السلالات والجماعات .

***

ويختتم كولبروجى بحثه بقوله : « لو خلطت مجموعة من الامخاخ التى درست بعضها مع بعض ، لما أمكن لاحد تحديد مخ الاسترالى (الاصلى) وتمييزه عن مخ الاوربى ولا تمييز أمخاخ الاذكياء عن امخاخ متوسطى الذكاء »

وتتفق هذه النتائج مع ماتوصل اليه باحثون آخرون كانت دراساتهم على الزنوج والمغول . وتهدم هذه النتائج التى يوثق بعضها بعضا ماذهب اليه المنادون بالاستعلاء العنصرى من ان أمخاخ العناصر الملونة اصغر فى الحجم واقل تجعيدا فى لفائفها من أمخاخ العناصر البيضاء .

واذا ماانهارت هذه الحجج «العلمية» التى نادى بها انصار التفرقة العنصرية كان من الواجب ان تتاح الفرصة للفرد فى مجتمعه — دون نظر الى سلالته وعنصره — من ان يمارس حقه وان يؤدى واجبه ، وان تسود المجتمع ديموقراطية سياسية واجتماعية لا يمكن أن تتحققا عمليا الا فى ظل نظام اشتراكى .

د.عبد العزيز كامل

« له بقية »

دق

للشاعر عباس محمود العقاد

لا يحزننك على بابك طرق	**ودع الهاتف ما شاء يدق**
ما وراء الباب لى من امل	**فى طلاب المجد أولى فيه عشق**
هانت الدنيا فما فى خلقها	**شاهد أو غائب يحدوه صدق**
من دنا فليدن اومن .. يبتعد	**فليفرق بيننا غرب وشرق**
رحم الله زمانا كان فى	**كل سلك لى من الهاتف عرق**
دق يا هاتف واخفق ساعة	**أيها الباب ولا يكرثك خفق**
ليس لى خلفكما من عنده	**نبا يعجب أو لى منه رزق**

من ديوان « مابعد البعد » تحت الطبع

فلسفة الجمال عند العقاد

للدكتور: أحمد الحوفي

كان العقاد ـ طيب الله ثراه ـ نهما الى القراءة ، متنوع الاطلاع ، ذكيا عميق الفكر ، وكان صاحب شخصية بارزة المعالم ، واضحة السمات ، وصاحب آراء ونظريات عقب بها على كثير من نظريات العباقرة وأصحاب الآراء ، مهما يبلغوا من العظمة والشهرة وذيوع الأفكار .

وانه ليسترعى نظرنا ، ويستوجب تقديرنا العظيم للراحل الكريم أنه كان يعز آراءه ، ويعتز بها ، ولا يفتأ يتبناها ويرعاها ويتابعها بالتأكيد والتأييد ، فلم يتنكر لبعضها ، ولم يتهرب من أحدها منذ أمسك القلم الى أن ودع القرطاس والقلم .

وفي رأيي أن مرد هذا ليس راجعا الى التعصب أو الغرور أو التابى على الفيئة الى حق كان قد خفى عليه ، بل ان مرده الى أنه كان لا يعلن رأيه الا بعد تفكير طويل ، وتقليب لوجهات النظر وتمحيص لما قرأ ، واطمئنان الى ما اختار وارتضاه .

وسأكتفى فى هذا المقال بتلخيص رأيه فى الجمال، ليكون نموذجا من متحف حافل بروائع الفن والجمال.

١ ـ ينبوع الاحساس بالجمال

الجميل محبوب ، والجمال مرغوب ، ما فى ذلك شك . ولكن لماذا نحب الجميل ، ونتعلق بالجمال ؟ وما ذلك الينبوع الذى ينبثق منه احساسنا بالجمال وتذوقنا له ؟

أما النشوئيون وغيرهم من الدعاة الى مذهب العقل الباطن فانهم يردون الاحساس بالجمال الى الغريزة الجنسية ، وقد عرض العقاد لهذا الرأى ، وفنده تفنيدا بكثير من الأدلة ، وذهب الى أن العكس أقرب الى الصواب ، لأن الغريزة الجنسية نفسها قد تكون وسيلة تنهض بالناس الى طلب الكمال والجمال .

ولو أن المقام يتسع لشىء من التفصيل لذكرت ردود العقاد على هذه النظرية ، لتتضح طريقته فى التفكير والمحاجة وعمق الفكر وسداد النظر .

ثم انتقل الى البحث فيما يعجبنا من الجميل ، فهل نعجب بالجميل لذاته ، فيروقنا من الزهرة لونها وتناسقها كما يعجبنا التناسق فى كل شىء ؟ وأجاب على هذا بأن الذى يعجبنا هو الدلالة التى يرمز اليها الشىء الجميل ، لا التنسيق الظاهر الذى قد يتفق لبعض الأزهار دون بعض .

فعلام تدل الزهرة ؟ انها تدل على النضارة ، ثم على اللهفة التى ترافق فى الذهن ذكرى زوالها السريع ، فكأنما هى بشكلها النضير الرقيق رمز الى فرصة العيش التى تنادى الناس باغتنامها ، وتذكرهم بسرعة فراقها ، ولهذا كانت فى شعر الأمم كلها رمزا الى الشباب ، والى كل أمل جميل نتلهف عليه .

واستنبط من هذا أن الجمال فى الفن والطبيعة معنوى لا شكلى أو الاشكال . لا تعجبنا ولا تجمل فى نفوسنا الا لمعنى تحركه أو لمعنى توحى به ، ولاقيمة للأعضاء بغير الفكرة التى تعبر عنها ، وبغير الوظيفة التى تؤديها .

ثم ضرب على ذلك أمثلة من بروز الحدبة على ظهر الأحدب ، وبروز النهد على صدر الكعاب ، وقال ان الحدبة معيبة والنهد مستجمل مرغوب ، وما ذلك الا لاختلاف المعنى ، لا لاختلاف الشكل والصورة ، ولتباين الوظيفة التى يمثلها كل منهما ، لا لتباين الحجم والبروز . على أن بروز النهد قد يعاب كما يعاب بروز الحدبة اذا أخل شكله بمعنى الصحة والشباب الذى يستجمل لأجله .

وكذلك الضمور واليبس معيبان فى عامة الأحياء ، ولكنهما غير معيبين فى كلب الصيد الهزيل الضامر الدقيق الأطراف ، لأننا ننظر ما وراء هذه الصفات

من خفة الحركة ، وسهولة العدو ، ورشاقة الخطوات

٢ ـ الجمال هو الحرية

قبل أن أعرض نظرية العقاد في حقيقة الجمال أشير اشارة موجزة الى اختلاف الآراء فى هذه الحقيقة .

فهل الجمال صفة في الجميل نفسه ؟ أو هو شعور خارجي ينبع من المدرك للجمال ؟

أتتصف المرأة والروضة والقصيدة واللحن بالجمال، لأن فيها خصائص جعلتها جميلة حقا ؟

أم تتصف بالجمال ، لأن الشخص المدرك لها أحس هذا الاحساس نحوها ، فوصفها بأنها جميلة ؟

رأى بعض الباحثين أن سر الجمال راجع الى روعة الشيء نفسه ، وهذا يستدعى وضع القوانين المرتبطة بقيم الأشياء والحكم عليها على اساس خصائصها الخارجية .

ورأى بعضهم أن الجمال ينبع من نفس المدرك ، ويرجع الى ظروفه النفسية ، لأن الأشياء التى تظهر جميلة في نظر بعض الناس قد تظهر قبيحة فى نظر آخرين ، وليس من الضرورى أن يكون الشيء الجميل فى طفولتنا جميلا فى تقديرنا اذا كبرنا . ومعنى هذا أن الشيء الذى نصفه بالجمال يثير فينا تجارب لها قيمة فى نظرنا ، وأن الجمال ينبع من داخل نفوسنا ومن تجاربنا والأثر النفسى الذى تحدثه فينا رؤيته أو سماعه .

ويضرب (جاريت) مثالا على هذا من أن صورة العذراء وطفلها تثير فى نفوس المسيحيين مالا تثيره فى نفوس المسلمين والمتبوذين ، وأنها تثير مشاعر فى المرأة تغاير المشاعر التى تثيرها فى الرجل، وأن تماثيل الأجسام العارية التى رسمها تتنان وروبنس ورنوار تبدو سمينة سمنا معيبا فى نظر المتشبعين بالذوق الاغريقى البحت .

وهناك فريق ثالث ذهب الى أن الجمال صفة في الأشياء نفسها ، ولكنه راجع الى ما بينها وبين نفسية المدرك من تجارب وتفاعل ، أى أن الجمال يتطلب أن تكون فى الأشياء مزايا تكسبها جمالا ، ويتطلب استجابة من المدرك لها تشعره بهذا الجمال ، كالحلوى فيها صفة الحلاوة ، ولكن الاحساس بحلاوتها متوقف الى حد كبير على تذوق الشخص نفسه .

فما رأى العقاد فى حقيقة الجمال ؟

انه يرى أن الجمال صفة فى الجميل نفسه ، ولكنه يستكنه السر في الجمال ، فيذهب الى انه الحرية ، فالجميل يوصف بالجمال لأنه حر ، اذ أن الحرية والجمال معنيان لا ينفصلان ، ولا يتم أحدهما بمعزل عن الآخر .

واذ كان هذا الرأى جديدا والعقاد صاحبه جعل يدلل على صحته بأدلة عدة ، وجعل يطبقه على كل شيء جميل ، وقد استقام له التدليل والتطبيق .

وذلك أن الحرية هي العنصر الذى لا يخلو منه جمال فى عالم الحياة أو عالم الفنون ، وانا مهما نبحث عن مزية تتفاضل بها مراتب الجمال فى الحياة لا نجد الا مزية حرية الاختيار التى يفضل بها الانسان الكامل سواه من المرجوحين فى صفات النفوس وسمات الأجسام ، ثم يفضل بها الناس عامة الأحياء ، ثم يفضل بها الأحياء طبقات النبات، ثم يتميز بها النبات على الجماد وحتى الجمادات نفسها والمادة الصماء تتفاضل فى الجمال بحسب ما يبدو لها من حرية الحركة ومشابهة الارادة ، فالرياح والنيران والمياه تروقنا ، وتعاطيها عطفا لا تعاطيه غير الأحياء ، وليس لها فضل ظاهر على عامة الجماد الا ما تخيله للناظر من حرية الارادة ومحاكاة الحياة .

والجسم الجميل هو الحر الطليق ، سواء نظرنا اليه فى جملته أم نظرنا الى كل عضو منه على حدة ، فيعاب الجسم اذا عطلت احدى وظائفه ، ويعاب العضو اذا زاد أو نقص عن حد حريته ، والوجه الذى تنكر منه وصفا من الدمامة لا بد أن نحس بعد تأمله أن مانعا يمنع وظائف الحياة فيه عن حرية الحركة ، فيزيد أو ينقص فى لمحة من ملامحه أو قسمة من قسماته ، بل قد يتم تناسب الشكل فى وجه قسيم صحيح ثم لا يعجبنا ولا نستخفه ، لأننا لا نحس فيه بما يدل على حركة الحياة فى نفس صاحبه ، وهذا هو ما يسمى بثقل الروح . ويتنبه العقاد الى أن عضوا قد يضخم فى بعض الاحياء ، ويستدق فى احياء أخرى، ويطول فى نوع ويقصر فى آخر ، فيرجع الاستحسان الى حرية الوظيفة فى هذا العضو ، لا الى الضخامة والدقة أو الطول والقصر ، فالغزال أو العصفور لا تعيبهما دقة الساق ، ولكنها تعيب الانسان اذا نمت فيه عن الاعياء واختلال وظائف الاعضاء .

وينتقل العقاد الى التجمل فيرى أنه يظهر فى هيئة واحدة ، هى الا يكون المرء مغلوبا على أمره فى حركة من حركاته ، أو كلمة من كلماته ، (وسجية من سجاياه) ، فيكون حزينا موجعا ولا يظهر الحزن والتوجع ، ويكون مريضا مدنفا ولا يئن أو يتململ، ويكون غاضبا مهتاجا ولا يصخب أو يتقزز ، فاذا

اضطر الى التخفيف عن نفسه بحركة أو اشارة حاول أن يكسوها من الاختيار والتأنق ما يخفى الاضطرار والاندفاع ، فتلوح للناظر كأنها مقصودة مرسومة، وتعبر عن نفس لا تضيق بأمرها ، ولا تضعف قبضتها على زمام مشيئتها ٠

ثم عرج بنظريته على الفنون الجميلة ، فنفى أن يكون من الحرية الفوضى ، لأن الفوضى لا قانون لها ولا نظام ، وأكد أنه لا فن بغير تطلع ، ولا تطلع بغير حرية ، وأن الفن نظام وأمل ، وكأن الانسان قد اراد بالفن أن يتمم حرية الحياة ، فخلق للانسان اجنحة قبل أن يطير في الهواء ، وأنشأ في الشعر ابطالا هزموا نواميس الكون ، وأرسل أحلامنا في سماوات من البهجة والكمال لا تفتح لأبناء الفناء وجمع في جسم واحد من رشاقة الأعضاء وملاحة القسمات ما تضن به الحياة على كثير من الأجسام ، فكملت بالفن آمال الحياة ، وأصبنا في عالم الفنون حرية لا نصيبها في عالم الحاجة والاضطرار وطبق العقاد نظريته على الفضائل والأخلاق ، فرأى أن كل خصلة محمودة فيها معنى من غلبة الحرية على الضرورة، وحكم الارادة الباطنة على البواعث الخارجية ، فالشجاعة والأناة والصبر والعفة وما شاكلها من المناقب لا تحمد في الانسان الا لأنها دليل على أنه مالك لحريته ، يقود البواعث الخارجية ولا ينقاد لها ٠

وبعد هذا عقب على النظرية بأن الجمال ليس محصورا في صفة ، بل هو صفات كثيرة متنوعة تتراءى في الأشكال والألوان والأصوات والمعاني، وبأن ثمة فرقا بين الاحساس بالجمال والرغبة في الاستيلاء على الجميل ، لأن الاحساس بالجمال يطلق النفس من اسارها ، ما الرغبة في الاستيلاء عليه فقد توقع في اسر الحاجة ، فاذا سلب العشق حرية العاشق فليس ذلك حجة على أن الجمال ينافي الحرية في صاحبه أو في الناظر اليه ٠

٣ ـ جمال المرأة

حينما ننتقل الى رأي العقاد في تعليقه على ذوق العرب في جمال المرأة نستطيع أن نطبق نظريته في أن الجمال هو الحرية ، بمعنى أن كل عضو من الجسم ، وكل جزء من العضو قد استكمل من الحرية نصيبه في حدود وظيفته ، وفي نطاق التناسب والتناسق والانسجام ٠

فقد وصف العقاد ذوق العرب في الجمال بأنه ذوق الفطرة السليمة ، التي لم يفسدها الترف ، ولم يغيرها بدع الحضارة ، اذ كانوا يستحسنون من جمال المرأة الوضاحة والهيف والرشاقة والخفر ، وينوهون بهذه الصفات فيما روى عنهم من غزل البداوة ٠

وكانوا يحبون مع هذه الصفات أن تكون المرأة بارزة النهدين ، ممتلئة الردفين ، وهو ذوق لايخرج بهم عن سواء الفطرة ، وهم في هذا أصح أذواقا من أساتذة التجميل المعاصرين الذين أوشكوا أن يسووا بين قامة المرأة الجميلة وقامة الرجل الجميل ٠

وكان من عيوب المرأة في نظرهم أن تكون رسحاء ضئيلة الردفين ، لأنها مخلوقة بحوض عريض ملحوظ فيه تكون الجنين ، ولهذا فان المرأة السوية الخلقة يجب أن تكتسي عظام فخذيها وعجيزتها ، وأن يمتلىء منها هذا الجانب من جسدها ، والا أشار هزاله الى آفة في الخلقة لا توافق الجمال ٠ كذلك يستحسن في المرأة الخصر الدقيق ، لأن ضخامة المعدة قد تؤذي الجنين وتضغط عليه ، ولأنها تشير الى تزيد في الطعام فوق ما تستدعيه وظائف الحياة في جسم الانسان ٠

واستحسن العقاد قول كعب بن زهير :

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة
لا يشتكي قصر منها ولا طول

وقول عمر بن أبي ربيعة :

أبت الروادف والثدى لقمصها
مس البطون وأن تمس ظهورا

وقوله :

فيهن طاوية الحشا
جيداء واضحة الجبين
بيضاء ناصعة البيا
ض كدرة الصدف الكنين

وقوله في الاشادة بحياء المرأة مع معاشرته للمتبرجات :

غراء في غرة الشباب من الحو
ر اللواتي يزينها خفر

ثم تنبه الى أن الذوق العربي العام طرأ عليه في شعر عمر عارضان انحرفا به عن قصده ، هما حياة الحضارة ، وبيئة الترف والنعمة والرخاء ، فظهر هذا الانحراف في وصف عمر للمرأة بالكسل والنوم الى الضحا ، ووصفها بفرط الغضارة ، لأن هذا عنوان الغنى والدلال على الرجال ، فاذا ذكر عمر الهيف خيل الينا أنه يتابع العرف العام ، وأنه يناقض نفسه

حين يذكر مع الهيف مالا يجتمع معه من البدانة التي توشك أن تقعد عن الحركة ، كقوله :

قطوف من الحور الأوانس بالضحا
متى تمش قيس الباع من بهرها تربو

٤ ـ جمال الأسلوب

وقد عرض العقاد لرأى أناتول فرانس فى جمال الأسلوب ، وفنده وخالفه ٠

وملخص رأى الكاتب الفرنسى أنه لا جميل الا السهل ، وأن الشاعر أو القاص الذى لا يعاب هو الذى لا يتعب القارىء أى أتعاب ، وخير للأديب أن يستديم انتباه القارىء ، وألا ينتزعه منه ، وعليه أن يحذر التعويل على صبر القراء ، وأن يعتقد أنه لا يقرأ الا اذا كان سهلا ٠ وذلك أن للعلوم حق التامل والانتباه ، أما الفنون فليس لها هذا الحق لأنها بطبيعتها تسر ولا تفيد ، ووظيفتها أن تثير الاعجاب فحسب ، والفرق كبير بين قصيدة تغنى ، ومقالة تكتب فى الهندسة ٠

رد العقاد على هذه الفكرة بالسخرية منها وبالتهكم بالمستسهلين ، ثم فندها من عدة وجوه فعجب من أن يقال ان مسرات الفنون والآداب لا تحتاج الى التامل والانتباه وانها مطالبة بان تعرض نفسها على الناس ليلتفتوا اليها حين يشاءون بلا جهد ولا استعداد ٠

وأى ان الجمال سهل معجب ، ولكن على الذين يقدرونه ويحبونه بعد الخبرة والتذوق والممارسة ٠

وليس معنى السهولة فى هذا الجمال أنه رخيص مباح لكل من يرمقه بجانب عينه ، ولا أنه فى غنى عن التامل والتفكير ، بل معناه أنه سائغ لمن يستعد له ، فهو كالثمرة الشهية سهلة سائغة لمن يشتريها ويغرسها ، وليس معنى ذلك أنها تنمو كما ينمو نبات لا يتعهد ولا يسقى ولا يراعى بالمعرفة والخبرة ٠

ومن هنا كانت سهولة الفنون غالية صعبة على من يريد الابتكار ، وعلى من يريد أن يجتنى الثمار ، ولقد تغلو وتصعب حتى تستدعى من التامل والانتباه مالا تستدعيه الهندسة وما هو أعضل منها ٠

ثم لجأ العقاد الى رد عملى واقعى هو أنه لو كان الغرض من اشتراط السهولة فى الجمال أن يكون سهلا على كل من يطلبه بغير تفاوت فى المواهب ما وجدنا فى الشعر كله قصيدة جميلة ، فشعر شكسبير سهل على بعض القراء شديد الغموض على آخرين ، والذين لا يفهمون شعر شكسبير قد يطيب لهم شعر بيرون ، وهو اذا قرىء على من دونهم فى الفطنة والشعور عابوه واستثقلوه أو كابدوا فى فهمه الصعوبة التى تنفى عنه صفة الجمال ٠

وكذلك الحال فى الشعر العربى ، فالمتنبى صعب على من يستسهل البحترى ، والبحترى صعب على من يستريح الى البهاء زهير ، وهكذا الى أن نهبط الى طبقة تستصعب شعر هؤلاء جميعا ، ولا تجد السهولة الجميلة الا فى الزجل الغث وما أشبهه من الشعر المبتذل الركيك ٠

ومن مناقشة العقاد لأناتول فرانس تتضح عدة نتائج ٠

الأولى اننا اذا جعلنا السهولة ميزان الفنون ، وجعلنا الشيوع دليلا على السهولة ، فاننا قد نتمادى حتى يصير لثغ الاطفال نماذج البلاغة العليا ، ثم تنحدر البلاغة سفلا حتى تنتهى الى فحول الشعراء وائمة الكتاب والخطباء ٠

الثانية أن كثيرا من ألوان الأدب قد يوصف بالجمال وهو صعب على طبقات كثيرة من الناس ، واذا كان بعض الشعر السهل أشيع فانه لا يلزم من ذلك أنه الأبلغ ٠

الثالثة أن المعانى العامة الشائعة ليست أصدق المعانى ، والا لحكمنا على كل شعور رفيع يختص به العلية المثقفون بانه شعور كاذب ومعنى غير صحيح٠

الرابعة أن السهولة فى الأدب ممدوحة ، ودليل على المقدرة ، اذا أدى بها الأديب المعانى التى يؤديها غيره بمشقة واعتساف ٠

أما اذا أعرض عن هذه المعانى ، وتعداها الى غيرها مما لا يصعب نظمه وتصويره فانه لا فضل له فى هذا التسهيل ، لأنه كالرجل الهزيل الذى يرى القوى يرفع الصخرة ويسير بها وهو يتصبب عرقا ، ويتماسك جهدا ، فيقول : لا ، لن أتصبب مثله عرقا ، لأننى أربأ بنفسى عن ذلك ، اننى قدير على رفع هذه الحصاة والجرى بها أمامه ، وأنا منتصب القامة خفيف القدمين ،وهو محنى الظهر بطىء المشية

ولا شك أن هذا المذهب الذى دان به العقاد كان نابعا من أعماق نفسه ، وكان عظيم التأثير فيما أنتج طوال حياته ٠

أما الموازنة بين فلسفة الجمال عنده وعند شوبنهور فانها تحتاج الى بحث خاص ٠

« د ٠ أحمد الحوفى »

النهضة المسرحية والترجمة في ظل الاشتراكية

بقلم: سمير سرحان

من المسلمات النقدية انه لا يمكن انتاج الفن العظيم الا اذا توفر عاملان : الموهبة الفردية لدى الفنان ، والتراث الذى يستمد منه الفنان صنعته الفنية ويضيف اليه أو يعدل فيه . ونحن لا نستطيع أن نحدد قيمة العمل الفنى الجديد الا اذا قارناه بأعمال التراث العظيمة من نفس النوع سواء أكان قصة أو مسرحية أو قصيدة . وفى الفن المسرحى بوجه خاص نجد ان الالمام بالتراث المسرحى الممتد على مدى العصور منذ الاغريق حتى مسرح اللامعقول ، هو أمر جوهرى بالنسبة للكاتب والجمهور معا . فالمسرح كما هو معروف فن مركب يقوم أساسا على لقاء عدة فنون منفردة كالأدب والفن التشكيلى والموسيقى الى جانب ايقاع الحركة وايقاع التطور المضطرد للمسرحية كلها حتى تصل الى نهايتها الحتمية . وكل هذه العناصر تكون فى النهاية كلمة مسرحية ، مما لا يعتمد فقط على الموهبة الفردية وانما على امتزاج هذه العناصر جميعا من ناحية، وعلى احكام الصنعة الفنية من ناحية أخرى حتى يمكن فى النهاية احداث الاثر الكلى المطلوب من المسرحية .

وكما لا يتم العمل المسرحى بدون المؤلف والممثل والمخرج ، فانه لا يتم أيضا بدون الجمهور ، فالدراما كما يقول الناقد « **تيودور هاتلن** » هى حاصل جمع الحوار المكتوب الذى ينطقه الممثلون على خشبة المسرح وحركات الممثل فى مسرح معين وأمام جمهور من النظارة . وهكذا يمكن أن نقسم العمل المسرحى الى شقين أساسيين هما : المسرحية ذاتها وهى تؤدى على خشبة المسرح ، والجمهور الذى يتلقاها . وكما لابد ان يقف فنان المسرح سواء كان كاتبا أم مخرجا أم ممثلا على أعمال التراث ليستمد منها صنعته الفنية ، لابد أيضا لجمهور النظارة أن يربى الحاسة المسرحية التى تمكنه من الرؤيا السليمة الى الفن المسرحى وذلك عن طريق الاحتكاك المباشر المستمر بأعمال

وقد تنبهنا فى النهضة المسرحية التى نعيشها الآن الى هذه الحقيقة وشرعنا فى ارساء دعائم « التربية » المسرحية عن طريق ترجمة بعض روائع الفن المسرحى فى العالم ، وتقديمها الى جمهورنا فى صورة أقرب ما تكون الى الدقة ، وهو اتجاه جوهرى وحتمى فى المرحلة الهامة التى يعيشها مسرحنا الآن ، لانه هو الطريق الوحيد لاعطائنا المؤلف المسرحى المصرى والجمهور المصرى المدرب . وهذه «التربية» المسرحية بالنسبة للمؤلف وبالنسبة للجمهور ، تستطيع أن تفعل الكثير ، ببساطة لان الكاتب المسرحى المصرى يستطيع بملامسته للتجربة المسرحية المتكاملة عندما يشاهد عملا من الاعمال العالمية يعرض على المسرح ، يستطيع أن يكتسب ذلك الاحساس بالتقاليد الفنية المسرحية أو بالأحرى يكتسب الشكل، ويستطيع فيما بعد أن يخلق من خلال الشكل تلك الرؤيا المسرحية المصرية الصميمة الخاصة بنا نحن كشعب له خصائصه المميزة ، ويستطيع أيضا أن يعدل فى هذه التقاليد ويضيف اليها . ولا يمكن أن يعدل الكاتب الجديد فى التقاليد أو فى الشكل الا اذا اكتسبه أولا ولامسه ملامسة التجربة الحية . ومن هنا فقط تنبع أصالته ككاتب ، ومن هنا فقط يستطيع مؤلفونا المسرحيون أن يضيفوا الى التراث المسرحى العالمى شيئا ذا قيمة .. ونفس المنطق يسرى على الجمهور .. فهو بملامسته للتجارب المسرحية العالمية المتكاملة ذات المستوى الجيد ، يستطيع أن يكتسب احساسا بالحقيقة .. حقيقة الفن المسرحى والتقاليد التى قام عليها منذ نشأته حتى الآن .. وبالتالى يكون مايسميه الناقد آرنولد « **بالمقياس الحقيقى** » أى المستوى المعين الذى يقيس به الاعمال المسرحية والذى يحدد به جودة المسرحية من سوئها وبالتالى يقبل على الاعمال ذات

المستوى الجيد ولا يقبل على الاعمال التى لا يجب أن تنتمى الى الفن المسرحى وانما تنتمى الى فنون أخرى قد تخلطها بالمسرح ولكنها بالتأكيد ليست هى المسرح كالاستعراضات الفكاهية مثلا ٠٠ والقضية كلها يحسمها عامل واحد ٠٠ هو الشكل ٠٠ الذى يكتسبه المؤلف والجمهور معا من خلال العلامة المباشرة للاعمال المسرحية المعترف بها عالميا ٠٠

ورغم حتمية هذا الاتجاه وضرورته فى المرحلة الهامة التى يعيشها مسرحنا اليوم ، فانه قد ينطوى على بعض الخطورة التى تنشأ أساسا من مشكلة اللغة التى نترجم بها هذه المسرحيات العالمية ٠٠ فنحن لا نستطيع حتى الآن ـ نظرا لحداثة عهدنا بالفن المسرحى ـ أن نحدد بوضوح الفرق بين لغة الحوار الادبى المكتوب خصيصا للقراءة ، ولغة الحوار المسرحى المكتوب خصيصا للتمثيل ولاحداث ماأسميناه بايقاع الحركة وايقاع الحدث فى المسرحية بشكل عام ٠ فالحوار فى المسرحية هو شكل من اشكال التعبير عن الحدث ، وهو بالتأكيد ليس الشكل الوحيد اذ أن هناك مسرحيات كاملة تعتمد على الحركة الصامتة وهو النوع المسمى بالمايم، واذا وجد الحوار فهو وسيلة للتعبير عن الحركة المتطورة داخل المسرحية الى ذروة معينة ٠ وهو بهذا المعنى مجرد وسيلة وليس غاية ٠

وقبل أن نناقش هذه الامور بالتفصيل يحسن بنا اولا أن نناقش وظيفة اللغة فى العمل الادبى خاصة وفى العمل المسرحى عامة فى مقال هام بعنوان « اللغة بوصفها اشارة » يقول الناقد ريتشارد بلاكمور :

« ان الكلمات مصنوعة من الحركة ، مصنوعة من الفعل او الاستجابة ، ٠٠ والاشارة مصنوعة من اللغة ـ مصنوعة من لغة ترقد تحت لغة الكلمات او تكمن وراءها أو تسير معها جنبا الى جنب ٠ فعندما تخوننا لغة الكلمات نلجأ الى لغة الاشارة ٠٠٠ فاذا مضينا الى القول بان لغة الكلمات عندما تبلغ أقصى درجات النجاح تصبح «اشارة» فى كلماتها ، فاننا عندئذ نحل لغز اللغة الذى بدأنا به لاكتشاف مفهوم معين لذلك اللغز الغامض وهو التعبير المحمل بالمعنى فى لغة الفنون » ٠

وحسب نظرية الاستاذ بلاكمور فان اللغة فى الفن ليست الا رمزا للتعبير عن الحركة ٠٠ أو بمعنى آخر فانها تبلغ أقصى درجات النجاح عندما تصبح كذلك ٠٠ ويترتب على هذا أن اللغة نفسها ـ فى المسرح خاصة وفى جميع فنون الادب الاخرى عامة ـ ليست مقصودة لذاتها وانما للتعبير عن الحركة المتطورة للعمل الفنى ٠٠ وهى بالتالى أيضا جانب من جوانب الشكل ولكنها ليست كل جوانبه فهى تساعد مع الجوانب الاخرى من شخصية وحدث وبناء ـ فى المسرح مثلا ـ على اعطائنا الصورة المتكاملة للمسرحية٠ والاستاذ **بلاكمور** يضرب مثلا على هذا النوع من النجاح الذى تبلغه اللغة عندما تصل الى حد أن تصبح «اشارة» الى حركة ما خارجية أو باطنية ، يضرب مثلا بالبيتين التاليين من مسرحية عطيل حين يقول عطيل لياجو :

« احس فى كلماتك غضبا

لا تحمله الكلمات نفسها »

والكلمة لا تتحول الى اشارة الا اذا استخدمها الكاتب استخداما معينا ، أى انها لا ترتبط بمعناها القاموسى بقدر ما يتحدد معناها داخل السياق الذى وردت فيه ٠٠ فاذا كان استخدام الكلمة داخل السياق ، قد يبعدها عن معناها القاموسى ويكسبها ظلالا أخرى كثيرة فانها تصبح غير محددة الدلالة ، وتتعدى أيضا دلالتها الحرفية لتكتسب دلالة حركية، بمعنى أنها تشير الى شئ أو أشياء أكثر كثيرا مما قد تشير اليه لو فصلناها عن السياق الذى وردت به فى العمل الفنى ٠٠ فمثلا فى الابيات التالية فى مونولوج هاملت الشهير ٠

الموت ، النوم ،

كفى ، وبالنوم نعنى أن نضع حدا

لآلام القلب ، وآلاف المتاعب التى

يتعرض لها الجسد بطبيعته ٠٠

او فى البيت الشهير من ماكبث الذى يقول فيه شكسبير ان ماكبث قد « **قتل النوم** » بقتله للملك دنكان الذى كان ينام فى غرفته نوما بريئا هادئا ٠٠

فى هذين المثالين تكتسب كلمة النـــوم معنى الموت والبراءة والطهر والراحة من الآلام الجسدية والمعنوية معا ، كما تصبح ذات ظلال لا حد لها بما تثيره من المعانى داخل الموقف المسرحى المحـدد ٠٠ فهى بهذا المعنى لا تقف وحدها أو بظلالها فقط داخل الجملة او الفقرة وانما تلعب أيضا دورها فى تفسير الحدث

الدرامى وتوضيحه وتطويره فى الوقت نفسه٠٠ فما نبت مثلا بقتله للنوم٠٠ (أى لدنكان النائم) قد قتل البراءة الى الابد٠٠ ومن ثم ترهص هذه الكلمة الموجهة لـــما سيكون عليه تطور الموقف الدرامى من فقـدان

ماكبث نفســه لبراءته وتكامله النفسى وانغماسه فى القتـل والشر بعد ذلك ٠٠ حتى يصل الى نهـايته

الحتمية ٠ أى تنهى مرحلة درامية وتبدأ أخرى ٠٠ وكذلك الحال فى الابيات التى أوردناها فى هاملت فهو فى مرحلة تشككه وتأمله ٠٠ يعتبر النوم (النوم الحقيقى والرمزى أى المـــوت) هو وحـده الوسيلة لاستعادة البراءة ٠٠ وهكذا ٠٠ وهناك من قال من النقاد ـ وهم قطعا على حق ـ مثل الاستاذ ستيان فى كتابه الشهير «عناصر الدراما» ان الكلمة فى المسرحية تكتسب معناها فقط داخـل جملة الحوار ٠٠ وجملة الحـــوار تلعب عدة أدوار فى وقت واحد فهى تلقى الضوء على المتكلم كما تلقى الضوء على المخاطب ٠٠ وتشير فى نفس الوقت الى حدث ما ٠٠ ولا يجب أن تتوقف عند ذلك بل توحى أيضا بتطور معين فى هذا الحـدث ٠ كل هذه الوظائف المتعددة والمعقدة التى تؤديها الكلمة وجملة الحوار فى المسرحية ، هى التى تساهم شيئا فشيئا فى استكمال البناء المسرحى ، أو بالاحرى فى اكساب المادة المسرحية الشكل ٠ ومن هنا نستطيع أن نتبين الفرق بين لغة السرد فى الرواية او حتى لغة الحوار الادبى المكتوب خصيصـا للقراءة ولغة المسرح ٠٠ فرغم ان استخدام اللغـة فى الادب بشكل عام لابد أن يكون استخداما معينا وخاصـا بحيث تكتسب اللغة أبعادا ودلالات وظلالا لا نجدها فى العلم مثلا ، الا أن اسـتخدام اللغـة فى المسرح خاصة أخطر كثيرا وأشق نظرا لما قد تقوم به الكلمة الواحدة من عدة وظائف فى وقت واحد ٠٠ ومن هنا يمكن أن نناقش قضية الترجمـة للمسرح ٠٠ فهذه

القضيه ذات شقين ٠٠ اولهما المحافظة قدر الامكان على حركة المسرحية المتطورة من خـلال الصراع الى معنى معين ٠٠ وكلمة «حركة» هنا بالغة الاهمية٠ وثانيهما: عدم أى جدار قد يقوم بين المسرحية ذاتها والجمهور المتلقى بسبب اللغة ٠ أما بالنسبة للشق الاول فاننا عندما نختار من الالفاظ ما يمـــكن أن يؤدى المعنى القاموسى للكلمة الأجنبية ولكن لا يساهم فى رفع حركة المسرحية الى الأمام ولا يتيح للكلمة ان تلعب أدوارها

المتعددة المعقدة فى البناء العام للمسرحية فاننا نكون بذلك قد ألحقنا الكثير من الضرر بالنص الذى نترجمه. فقـد تكون الكلمة بليغة أو قـد يكون التعبير بليغا ،

ولكنه لا يصبح مسرحيـــا الا اذا أدى هذه الاغراض المشار اليها آنفا ٠٠

ولا مجال هنا لمناقشة العربية والعــامية كوسط لغـــوى للترجمة ـ فهذه القضية تصبح منهية من اساسها اذا آمنا بان اللغة الوحيدة المناسبة لترجمة اى مسرحية هى اللغة التى تنبع من داخل المسرحية ذاتها ومن داخل حركتها وايقاعها وبنائهـــا ، سواء أكانت لغة عربية فصحى أم لهجة عامية ٠

وكذلك الحال بالنسبة للشق الثانى من القضية ، فان اللغة غير المسرحية ـ بالمعنى الذى انتهينا اليه ـ اذا ترجمت اليها أية مسرحية فانها بذلك تصبح جدارا يحول بين الجمهور وبين المسرحية من ناحية، وتصبح عائقا للحركة المتدفقة التى تقوم عليها المسرحية ذاتها من ناحية أخرى ٠٠ والنتيجة ان الجمهور المتلقى قد يرى شـيئا آخر يشبه المسرحية ولـكنه ليس هو المسرحية ، لانه فقد أهم عنـاصرها ٠٠ وهو الحركة الدرامية المتدفقة ٠

وفى النهضة المسرحية التى نعيشها الآن يجب أن نتنبه الى هذه الحقيقة ٠٠ لانها هى السبيل الوحيد الى نقل التراث العالمى باكبر قدر ممكن من الامانة ٠٠ فلا يمكن أن يقوم العرض المسرحى الذى نتوقع منه أن يخلق التربية المسرحية سواء للمؤلف أو للجمهور ـ الا اذا كنا نشاهد المسرحية كما هى على حقيقتها ٠٠ دون أن نفرض عليها لغة ليست نابعة منها ٠٠ بل تعوقها أحيانا عن ايصال معناها الكلى ٠٠

« سمير سرحان »

أساليب كتابة الرحلات في القديم والحديث

بقلم : محمد عبد الغني حسن

- ٢ -

منذ قرابة اربعين عاما فطن ناقد الى أساليب الكتاب في كتابة الرحلات ، ووجدها فرصة مواتية وهو يعرف بكتاب جديد في أدب الرحلات عنوانه « مشاهد العالم الجديد » للكاتب فؤاد صروف الذي تولى رياسة تحرير « المقتطف » بعد وفاة عمه الدكتور يعقوب صروف سنة ١٩٢٧ . ولقد ظهر هذا الكتاب في عام ١٩٢٥ حينما كان صروف يساعد في تحرير تلك المجلة الراقية ، وتناوله الناقد بالتعريف في عدد شهر نوفمبر من تلك السنة . وقد ذكر الناقد أن من كتاب الرحلات (من يصف كل دقيقة يمر بها ، ويدون كل شعور يختلج فيه ، فتاتى كتابته وصفا مسهبا لكل خطوة يخطوها أو مشهد يراه . ومنهم من يدون الملاحظات والحقائق ثم يجمعها ويبوبها تحت مباحثها المختلفة ، ويكتب في كل مبحث منها مستقلا عن غيره . وهذا الأسلوب يختلف عن الأسلوب السابق في أن القارىء يرى الأمور بكلياتها ، ويقف على النتائج التى وصل اليها الكاتب ، بدلا من أن يرافقه في مشاهدة كل الأمور الجزئية ، ثم يتركه في آخر السفر ليستنتج منها ما يريد) . كما ذكر أن مؤلف كتاب « مشاهد العالم الجديد » جرى على الأسلوب الثاني .

والحق أن الأستاذ فؤاد صروف لم يدون في كتابه يوميات ، ولا مذكرات اللحظة العابرة ، ولكنه جمع المشاهد الكبرى في العالم الجديد في الصحافة ، وفي موضوع السوريين في أمريكا ـ وهي ظاهرة تلفت النظر وخاصة نظر الزائر العربي ـ ومكتبة الكونجرس ، وهنري فورد ومعامله ، والمعارف والمدارس في الولايات المتحدة ، والراديو والسينما الناطقة . وهي موضوعات كانت مثار اهتمام المؤلف قبل سفره . وهذا يؤكد لنا الحقيقة التي نقررها هنا ، وهي أن كل كاتب رحلات يهتم في رحلته بمشارات اهتمامه قبل الرحلة . فالرحالة المهتم بالصناعات وتطورها يهمه في تدوين رحلته الحديث عنها ، والصحافي يهمه من رحلته كل ناحية من نواحي مهنته ، والمشتغل بالتربية والتعليم تقع عينه أول وهلة في خلال رحلته على ما يتصل بموضوع التربية والتعليم وهكذا . ومن هنا كان اهتمام الرحالة فؤاد صروف بالصحافة والمكتبة والمدارس والمصانع ، فهو صحافي مشارك في تحرير المقتطف أول الأمر ومستقل برياسة تحريره بعد ذلك ، وهو معلم اشتغل بالتربية ناظرا لاحدى المدارس الثانوية في لبنان قبل أن يفد الى مصر ، وهو رجل فكر وثقافة يهتم بالتاليف الذى أسهم فيه بعد ذلك بجهد عظيم ، وهو رجل علم يتابع تقدمه في مجال التطبيق الصناعي .

وكذلك نجد الرحالة فتح الله الصقال يزور في اوربا وامريكا دور العجزة والملاجىء والمستشفيات ليدخل على مشروعاته الانسانية في حلب ما تنجح به رسالة الخير التى ينهض بها فوق عمله في المحاماة ، وكذلك نجد الرحالة العربي فيلسوف الفريكة « أمين الريحاني » حين قام برحلتيه الكبيرتين الى بلاد العرب ، والى بلاد المغرب ، كتب عنهما كتابيه العظيمين : « ملوك العرب » و « المغرب الأقصى » .

ولعل كثيرا من قراء الشباب العربي اليوم لا يعلمون أن رحلة أمين الريحاني الى بلاد العرب هي التى من أجلها كرمته مصر عن بكرة أبيها ، وأقيمت له من أجلها حفلات التكريم ، وكان منها حفل سفح الأهرام الذى اقامه له شيخ العروبة احمد زكي باشا ، والقيت فيه قصيدة أحمد شوقي التى يقول فيها :

قف تاج أهرام الجلال وناد
هل من بناتك مجلس أو نادي ؟

ايه أمين ! لمست كل معجب
فى الحسن من أثر العقول وبادى

قم قبل الأحجار والأيدى التى
أخذت لها عهدا من الآباد

وخذ النبوغ عن الكنانة . انها
مهد الشموس ، ومسقط الآراد

ولقد كان الريحانى مشتغلا بقضايا الأوطان العربية السياسية والحضارية ، فلا عجب أن كان كتاب رحلته يفيض بأحاديث السياسة والدفاع عن العروبة ورد هجمات أعدائها ، حتى لنجده فى كتاب « المغرب الأقصى » يدفع اتهامات ساسة أوربا الاستعماريين وأنصارهم من رجال الدين والمال والاقتصاد للمغاربة بل للعرب اجمالا ، وهى أقوال (أقرب الى الغرض والتحامل منها الى الحق والانصاف ، من تلك الأقوال التى تقول : ان المغاربة متقهقرون منحطون ، وأنهم سيغرقون حتما ويفنون فى أمواج التمدن الأوربى .. قيل ذلك فى مطلع هذا القرن ، يوم كانت الدول الأوربية العظمى تمهد لنفسها سبل الاستيلاء على المغرب ، وها هم أولاء المغاربة العرب - بعد ربع قرن - ينهضون من سباتهم ، وينفضون عن مناكبهم غبار الخمول والذل ..)

وقل أن تجد رحالة - عربيا أو غير عربى - لايصور عادات البلد الذى ينزل فيه ولايصف طبائع أهله ، ولا مختلف طقوسهم فى أفراحهم ومآتمهم ، وفى جدهم ولهوهم ، فابن بطوطة - مثلا - يذكر من فضائل أهل مكة - فى عصره - أن الأيتام الصغار يقعدون بالسوق ، ومع كل واحد منهم قفتان : كبرى وصغرى - وهم يسمون القفه مكتلا ، فيأتى الرجل من أهل مكة الى السوق ، فيشترى الحبوب واللحم والخضر ، ويعطى ذلك الصبى ، فيجعل الحبوب فى احدى قفتيه ، واللحم والخضر فى الأخرى ، ويوصل ذلك الى دار الرجل ليهيأ له طعامه منها ، ويذهب الرجل الى طوافه وحاجته ، فلا يذكر أن أحدا من الصبيان خان الأمانة فى ذلك قط ، بل يؤدى ما حمل على أتم الوجوه ، ولهم على ذلك أجرة معلومة . كما يذكر لنا ابن بطوطة مثلا عادات أهل مكة فى صلواتهم وفى استهلال الشهور وفى الاحتفال بعمرة رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وشهر رمضان المكرم .

وللرحالة ابن جبير الاندلسى من ذلك وأشباهه ملاحظة كثيرة ، وكذلك عبد اللطيف البغدادى ، والمقدسى البشارى صاحب كتاب « أحسن التقاسيم » ولا نعدم فى الرحالة العرب المحدثين مثل هذه الملاحظ على العادات والطباع .

وللشيخين الكبيرين رفاعة الطهطاوى وأحمد فارس الشدياق فى هذا الباب ملاحظ كثيرة واعية . فقد لاحظ رفاعة الطهطاوى « قلة عفاف كثير من نساء باريس » ، كما لاحظ - فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر - كثرة اهتمام الفرنساوية بقراءة الكتب ، فهى أنسهم ، حتى أنها تلقى على نضد فى أيام الزيارة بالبيوت (لتسلية من أراد من الضيوف أن يسرح ناظره ، وينزه خاطره) ..

الا أن ملاحظ أحمد فارس الشدياق على العادات والطباع فى البلاد التى زارها أكثر وأعمق وأذكى .. فقد لاحظ مثلا ما عند الانجليز من التطير والتفاؤل الى حد يفوق نظيره عند أهل الشرق ، فهم يتطيرون من لقاء المرأة الحولاء ، ما لم تبادر بالكلام ، فحينئذ تزول الطيرة ، كما يتطيرون من السفر يوم الجمعة ، ويرمون بنعلين باليتين خلف من خرج من المنزل لمصلحة يرومها ، فان ذلك يعد فألا بنجاحه وتوفيقه ويتطيرون من رؤية الهلال من شباك أو زجاج ونحوه ، فاذا رأيته فى الفضاء فاقلب ما فى جيبك من الدراهم أو الفلوس ، وتمن خيرا فى الشهر القابل تنله .

ولاحظ الشدياق تزمت الانجليز وتحذلقهم على الموائد وخاصة فى الضيافة ، وشدة عنايتهم بالصحاف والمفارش حتى ولو كان الطعام تافها ..! فقد رآهم يضعون البطاطس فى صحاف مفضضة وتحتها فوط من الكتان الرقيع (فلم أدر ما المراد بهذا الاحتفال والتنطس ، فان الخسيس خسيس حيثما كان ، والكلب كلب وان طوقته ذهبا) ! يقصد الشدياق طبعا أن البطاطس هى البطاطس ، وهى الطعام الخسيس مهما وضعته فى صحاف مفضضة أو على مفارش ثمينة !

ومن ملاحظه الدقيقـة فى مقاهى عاصمة مالطه أن الساقى ـ أو الجرسون ـ اذا استطال وقت جلوسك واراد أن يصرفك جاءك ومسح المائدة أمامك (اشارة الى أنه ينتظر غيرك ، أو كأنه يقول بلسان الحال : لقد أبرمت بى ، فمتى تفارق ؟)

ومن ملاحظ فارس الشدياق الذكية على سحنة الانجليز ما لاحظه على وجوه أهل الريف من الكلوح والعبوس ، على حين تكون وجـوه أهل المـدن أقل عبوسا . ولقد رد ذلك الى ما تأخذ به الأم طفلها فى المدينة من سماع الموسيقى ، فمتى سمعت الام فى المدينة موسيقى أخذت طفلها ورقصته عليها او غنت له ، فيدرب بذلك ، فيغرس فيه حب الطرب والخفة والبشاشة ، فأما فى القـرى وهى خالية من ذلك فلا بد أن ترى الوجوه عابسة باسرة .. وهو تعليل دقيق لطيف ..

واكثر كتاب أدب الرحـلات الموفقين لا تفوتهـم الموازنة الدقيقة ، بين شيء وشيء ، أو بين شيء ونظيره فى بلد آخر . فالأستاذ فتح الله الصقال يوازن بين ملجأ فى بلد وملجأ فى بلد آخـر ويقـارن بين غابة بولونيا فى باريس وهايد بارك فى لندن . وأحمد فارس الشدياق يوازن بين نساء انجلترا ونسـاء فرنسا ، ويلاحظ أن نساء الفرنسيس أكثر تكيسا وتظرفا فى الظاهر من نساء الانجليز . والأستاذ فؤاد صروف يوازن بين العاصمتين نيويورك وباريس .. وباريس متحف ؟ ونيويورك متجر (وبين المتحف الفخم البديع والمتجر الفنى المتقن تتلون الحياة بمئات الالوان ، وتتشكل وسـائل العمران بألف شـكل وشكل) . وباريس مدينة الأبهة والمجد ، ومدينة الأدب والشعر ، وهى المدينة السـاحرة ، فالسحر يملأ جوها فى الليل والنهار (أما نيويورك فصحيفة مهندس رسم عليها بدقته الرياضية خطوطا متوازية ومتقاطعة ، وجعل من الخطوط شوارع مستقيمة ، وزوايا قائمة ، وأقام على مربعاتها مبانى شاهقة ، جعلها عاطلة الا من حلى العمل ، والعزيمة الراسخة، والعقل المبتكر) .

ورفاعة رافع الطهطاوى يوازن فى رحلته الى باريس بين الرقص فى مصر والرقص فى باريس ...

(ويتعلق بالرقص فى فرنسا كل الناس، وكأنه نوع من العياقة والشلبنة لا من الفسق ، فلذلك كان دائما غير خارج عن قوانين الحياء ، بخلاف الرقص فى أرض مصر ، فانه من خصـوصيات النسـاء ، لأنه لتهييج الشـهوات .. وامـا فى باريس فانه نط مخصوص لا تشم منه رائحة العهر أبدا) .

ومن دوافع المقارنة بين بلد الرحالة والبلد الذى يزوره ، هذا الحنين الذى يعاود المسافر دائما حتى يئوب الى وطنه ، فهنا يرى الرحالة وطنـه أجمـل الأوطان ، حتى ولو جار عليـه أهله . كما يقـول الشاعر القديم :

بلادى وأن جـارت على عزيزة
وأهلى وأن ضـنوا على كـرام

وقد كان رفاعة الطهطاوى يرى مصر جميـلة على ما فيها من عدم استكمال وسائل العمران ، ويقول فى ذلك (لو تعهـدت مصر ، وتوفرت فيها أدوات العمـران ، لكانت سلطانة المدن ، ورئيسـة بلاد الدنيا ، كما هو شائع على لسان الناس من قولهم : مصر أم الدنيا) .

« محمد عبد الغنى حسن »



الاشتراكية في إطار الإسلام

بقلم : عبد الرحيم فوده

على كثرة ما قرأت من بحوث وكتب في الاشتراكية لم أظفر بتعريف واحد يحدد معناها ، لأن مفهومها قد اتسع لكثير من المذاهب الاقتصادية المختلفة التى ترمى الى تنظيم المجتمع ، وتهدف الى تحقيق مايمكن تحقيقه من المساواة الاقتصادية والاجتماعية بين الأفراد الذين يعيشون فيه ، وقد نبتت هذه المذاهب فى بيئات مختلفة ، وتأثرت بواعثها وأهدافها وبرامجها ومناهجها بظروف هذه البيئات ، وبخاصة الأوضاع الاقتصادية الجائرة التى سادت القارة الأوربية في أوائل القرن التاسع عشر ، ومع ذلك أطلق على كل مذهب من هذه المذاهب اسم « الاشتراكية » ، أو الكلمة التى ترجمت بهذا الاسم ، ومن ثم كان من الصعب أن يخرج الباحث بتعريف جامع مانع لهذه الكلمة التى أصبح لها رنين سحرى فى نفوس الجماهير الكادحة والقوى العاملة ، اللهم الا أن يلجأ الى التعميم ، ويرتفع الى ما ارتفع اليه علماء المنطق حين عرفوا الانسان بأنه حيوان ناطق أو مفكر ، فيقول فى تعريف الاشتراكية : انها القواعد والنظم والقوانين التى يتمكن بها الأفراد من الاشتراك فى موارد الدولة أو المجتمع ، وبذلك تدخل كل هذه المذاهب الاشتراكية – مع اختلافها – فى عموم هذا التعريف ، كما يدخل الناس من مختلف الشعوب والأمم والأجناس فى عموم تعريف الانسان بأنه حيوان ناطق أو مفكر .

والواقع الذى لا سبيل الى الشك فيه عند من يؤمنون بالاسلام . ويدينون بنظامه . ويلمون بجملة أصوله وأحكامه أن هذا الدين القيم لو عرفه على حقيقته الباحثون عن الحرية . والظامئون الى تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية ، لوجدوا فيه مايغنيهم عن كل هذه المذاهب .. ويقيهم ما اقترن بها وبالنظم الرأسمالية من مآثم ومظالم ، فانه – وهو تنزيل من حكيم عليم – قد سوى بين الناس فى الحقوق والواجبات ، وجعلهم – على اختلاف ألسنتهم وألوانهم – أسرة واحدة ، لا فضل فيها لعربى على عجمى الا بالتقوى ، وفرض لفقرائهم حقا معلوما فى أموال أغنيائهم . وليس فى طبيعته . ولا فى شريعة كتابه ما يسمح بقيام الأوضاع الجائرة التى قامت فى المجتمعات الاوربية وغيرها ، ونشأ عنها النزاع الحاد والصراع الدموى بين الطبقات الظالمة والطبقات المظلومة . أو الهيئات الحاكمة والشعوب المحكومة ، واذا كان المجتمع العربى والاسلامى قد وقع فيما وقعت فيه من ظروف ، ونشأ فيه ما نشأ فيها من اقطاع ظالم . ورأسمالية طاغية ، وحكومات فاسدة . وعروش مستبدة . وامتيازات طبقية . فان مرد ذلك كله الى ميله عن الاسلام ، وبعده عن صراطه . وتأثره بالتبعية للدول الأوربية ، ومن هنا كان القضاء على الاستعمار . وظلم الاقطاع . وطغيان رأس المال . وفساد الحكم والامتيازات الطبقية عملا اسلاميا من صميم الاسلام ، فاذا أطلق على هذا العمل وما اليه من الأعمال الانشائية . والمشروعات العامة التى قامت بها الثورة اسم « اشتراكية ديمقراطية تعاونية » فان هذه التسمية لا تبعد بها عن اطار الاسلام ، لأن فيه ما فى الاشتراكية من تضامن ، وما فى الديمقراطية من شورى ، وما فى التعاون من خير وبر ، فالمسلمون « تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » ، كما يقول النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم فى كل ما يهمهم كما يقول الله فيهم « وأمرهم شورى بينهم » ، وعملهم جميعا يهدف الى تحقيق البر – وهو سعة الخير – كما يفهم من قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، والحاكم والمحكوم فيهم كلاهما محكوم بما أنزل الله ، مأمور بأن يؤدى الأمانات الى أهلها ، والحكم بما أنزل الله أساس الحق والعدل ،

وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » فقد فسرت الامانات بكل الحقوق التي أوجب الله اداءها ، وفسر العدل بالمساواة والانصاف ٠٠ وتوخي القصد في الأمور ، والمثل والنظير ، والجزاء والفداء ، فالعدل في الحكم ،والعدل في القضاء ، والعدل في الجزاء ٠ والعدل في تقدير الأجور ، والعدل في تكافؤ الفرص ، كل ذلك حق يجب أن يتبع وامر يجب أن يطاع ٠

هذا الى أن المؤمنين كما يقول الله فيهم : « انما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم » ، وكما يقول فيهم « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض » وهم كما يصفهم القرآن « رحماء بينهم » فالاخاء والولاء ، والرحمة ، والتعاون على البر والتقوى ، يجعلهم « كالبنيان يشد بعضه بعضا » وكالجسد « اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » ولا اعرف ــ ولا يعرف أحد من الناس ــ اشتراكية في السراء والضراء ترتفع بالمجتمع الى هذا المستوى الرفيع ، لأن الأساس الذي تقوم عليه الاشتراكية في المجتمع الاسلامي يختلف اختلافا جذريا ــ كما يقال ــ عن الأساس الذي قامت وتقوم عليه الاشتراكية في غيره من المجتمعات كما قلت في بعض ما كتبت :

انها فيه ثمرة طيبة لشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ،

وفي غيره ثمرة مرة لنزاع مرير ، وصراع طال مداه بين العمال وأصحاب رأس المال

انها فيه تعبير عن شعور كل فرد فيه بحق أخيه، وعبارة مالية لا يكمل ايمان المؤمن بدونها ولا يسلم اسلامه بغيرها ٠

انها فيه تقوم على الايمان بالله خالق الجميع ورازق الجميع ، وعلى أن المال مال الله فيجب أن يوجه لخير الجميع ومصلحة الجميع ، وعلى أن المؤمنين أخوة فيجب أن يسودهم التضامن والتعاون ، وأن يشد بعضهم أزر بعض ، لأن بعضهم أولياء بعض ٠

هذا هو الأساس الذي تقوم عليه الاشتراكية في المجتمع العربي الاسلامي ، بل في ضمير كل فرد في المجتمع العربي الاسلامي ، يؤكده النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يسلمه ، وقوله : لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وقوله : ما آمن بي من بات شبعان وجاره الى جانبه طاو (جائع) وقوله اى رجل مات ضياعا بين أغنياء فقد برئ منهم الله ورسوله ٠

وهذا الاساس هو ــ وحده ــ الذى تقوم عليه الحياة الطيبة للفرد والجماعة والأمة ، فليس المال ملكا خالصا للدولة حتى تجور على الافراد فتاكل جهودهم ٠ وتلغي وجودهم ٠ كما هو الشأن في الشيوعية ، وليس ملكا خالصا للأفراد حتى يحق لهم احتجانه واختزانه ٠ أو استغلاله بطرق آثمة ، ووسائل ظالمة كما هو الشأن في الرأسمالية ، انما هو ملك لله يأخذ منه الانسان بالوسائل التي شرعها الله . كالعمل الصالح المثمر ، والارث ، والهبة والوصية ، وتأخذ منه الدولة بمقدار ما يعينها على تأمين حدودها ٠ وتأكيد وجودها ٠ وتيسير أسباب الخير والحياة الطيبة لبنيها ٠

فالملكية مشروعة في الاسلام على أساس أنها ملكية نسبية ناقصة ٠ لا ملكية حقيقية تامة ، والضرر الخاص الذى يقع على بعض الأشخاص يجب أن يتحمل في سبيل رفع الضرر العام كما هي القاعدة الشرعية .

هذا الى أن التعامل بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب يقوم على أساس : أن لهم ما لنا وعليهم ماعلينا ، بل انه لا حرج على المسلمين في أن يبروهم ويقسطوا اليهم كما يفهم من قوله تعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ٠

فالاشتراكية في اطار الاسلام على هذه الأسس والأصول التي أشرنا اليها خير لا يشوبه أى شر ، وعدل لا يعيبه أى جور ، لأنها كما يقول الله «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، وكما يقول : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ٠

وقد نظر اليها الرئيس **جمال عبد الناصر** هذه النظرة السليمة المؤمنة فقال في بعض ما كتب عن مشكلة الفرد والمجتمع : (٠٠ وتتعارض المذاهب ٠ وتصطرع العقول والقلوب ،وتنشأ الجماعات المختلفة،

تدعو كل جماعة منها الى مذهب ، ويشغل الفلاسفة وأهل الفكر فى كل أمة ليخترعوا ، نظاما ، يفض المشكلة ويحل العقدة ، ثم نسمع عن الراسمالية والاشتراكية والنازية · والفاشية · والشيوعية · والفوضوية · وعن نظم أخرى لا يكاد يبلغها الاحصاء وليس فى واحد منها حل صحيح لمشكلة الفرد والمجتمع لأن مشكلة الفرد والمجتمع مشكلة انسانية قبل أن تكون مشكلة مادية ، فلا سبيل الى حلها الا بتربية الشعور الانسانى فى نفوس الجماهير ، وتوثيق أواصر الأخوة الانسانية بين البشر ·

ونقف نحن العرب والمسلمين فى هذا الجانب من العالم نشهد الصراع الذى يدور بين هذه المذاهب المادية المبتدعة ، ونرقب المعارك الناشبة بين الشعوب وحكوماتها حول تلك المذاهب، فنعجب اشد العجب من تلك المذاهب والذاهبين فى سبيلها من الحكومات ومن الشعوب على السواء ، لأن مشكلة الفرد والجماعة التى حيرت كل المفكرين والفلاسفة فى أوربا منذ قرنين أو منذ قرون قد وجدت الحل الصحيح فى بلادنا منذ ألف وثلاثمائة سنة .. منذ نزل القرآن على محمد بن عبد الله يدعو الى الأخوة الانسانية ، ويفصل مبادىء العدالة الاجتماعية ، من غير طغيان على حرية الفرد · ولا اذلال له ، ولا انكار لذاتيته ·· « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » ·

ذلك هو النظام ·· فليكتف المفكرون والفلاسفة بما بذلوا من جهد ولا يبحثوا منذ اليوم عن حلول أخرى لمشكلة الفرد والمجتمع ·

ان عندنا الحل ·· الحل الأول الذى نزل به الوحى على نبينا منذ ألف وثلاثمائة سنة هو الحل الأخير لمشكلة الانسانية ·

حفظه الله · وسدد على طريق الخير خطاه ··

« **عبد الرحيم فودة** »

قولى مع السلامة

للشاعر : عباس محمود العقاد

نعم مع السلامة — والحب والكرامة
حديثك الممتع لى — من ثغرك المقبل
وانت لى فى منزلى — وشيكة ان تخجلى
من قبلة حر الى — لغو الى ابتسامة
ولا تقولى عندها — لا · لا · مع السلامة

حتى الى يوم القيامة

اما اذا سرتنى — نادتك يا حبيبتى
فاستمعى تحيتى — ثم « اسالى عن ليلتى ! »
ثم اضحكى وسلسلى — ضحكتك النغامة
فان أطلت بعدها — فهذه علامة

قولى مع السلامة

من ديوان « مابعد البعد » تحت الطبع

مبايعة البطل

للشاعر: حسن جاد

يا خالد الذكر يفنى الدهر والحقبا ... أعيت بطولتك الأشعار والخطبا
غنى بمجدك شعب أنت منقذه ... من غاشم عاث او من فاتك سلبا
ودولة من قيود الذل قد نهضت ... عل يديك تبارى النجم والشهبا
طرقتها ساريا والليل معتكر ... أمسى حماها به للفتك منتهبا
تعدو الذئاب عل قطعانه شرها ... فمن يفز بقطيع مفرد وثبا
مخالب ونيوب راح يشرعها ... عل الكنانة غاب شرعه غلبا
ورجمة من رجوم الغرب يقذفها ... عل البلاد جحيم ينفث اللهبا
والظلم قد مد في الآفاق أروقة ... ترى المفاسد والفوضى لها طنبا
والحكم في يد أذناب لمغتصب ... ما ان يحكم الا الخادم الذنبا
والأرض والمال للاقطاع متخمة ... والشعب جوعان يشكو الفقر والسغبا
فلوحت يدك البيضاء في غسق ... فمزقت كبد الظلماء والحجبا
وكنت فجر الحيارى في مفازتهم ... وكنت صبحا من الآمال مرتقبا
بدلت خوفهمو امنا ، وذلهمو ... عزا ، ويأسهمو من نجدة رغبا
ورحت تنصف أهل الفقر من نفر ... بغوا ، قد احتكروا الأموال والنشبا
في ثورة حطم الاقطاع جحفلها ... وزلزلت صرح الاستعمار فانقلبا
(جمال) يا رائد الأحرار أي فتى ... سواك أعيا المعالي والمنى طلبا ؟
في كل يوم ترينا سحر معجزة ... عملاقة تتحدى الشك والريبا
تلك القناة ، وقد عادت لمن فقدوا ... من الضحايا بها جدا لهم وأبا
والسد قد رفعت يمناك شامخه ... رمزا تحدى أراجيف العدا وأبى
يا رافعا مشعل الأخلاق في بلد ... ما كان يعهد الا الزيف والكذبا
وموقظا أمة من بعد رقدتها ... بعزمة تصدع الأحداث والنوبا
حتى غدت قبلة الأحرار ، مشعلها ... لكل شعب يضيء النهج والشعبا
وأصبحت في فم الأيام أغنية ... تهتز أسماع دنيانا بها طربا
رمز العروبة في أسمى مطامحها ... وسيفها العضب لا ينبو اذا ضربا
ألقت اليك بآمال لها عظمت ... أعظم بمن كان للآمال منتدبا
هتفت بالوحدة الكبرى ، فرأيتها ... عما قريب تظل الشرق والعربا
وصحت في كل شعب نائم فصحا ... ليسترد بكم ما كان مغتصبا
أعد لأرض فلسطين عروبتها ... فكم غضبت لها ، والحر من غضبا
واحشد عل الزحف جيش العرب متحدا ... واردد لأبنائها الأحرار ما سلبا
واضرب عصابة صهيون وصولتها ... وأشعل النار واجعلهم لها حطبا
غدا يرون من المحمود عاقبة ... من يعبد الله أم من يعبد الذهبا ؟
لا زلت للشرق في أمجاده بطلا ... وللعروبة من آمالها الأربا

إلى صديقي العقاد

في ذكرى يوم وفاته

للشاعر: محمد طاهر الجبلاوي



عند هذا الملتقى كنا نسير   ولنا من كل بستان عبير
انا منه ذرة باسمة   ضمها في فلكه قلب كبير
جمع الغبطة والحب لمن   يصطفيه فهو ريحان ونور
نصنع الدنيا بأيدينا وما   تصنع الدنيا لأهليها قشور
هى دنيا في الضمير ارتسمت   فسلكناها كما يهوى الضمير

❋ ❋ ❋

الليالى الملهمات ائتلقت   بسنا الفكر تاهت في حلاه
أهى أعراس جمال زينت   أم أفانين خيال من رؤاه ؟
عبقرى الفن في أخلاده   أبدع الصورة من وحى نهاه
فتلاقينا على أضوائها   حقبة نحسو أفاويق الحياة
وانتهينا في دجى من يومنا   حين أصبحنا ولم نبصر سناه
اى أخى العقاد ما زلت هنا   ملء عينى وسمعى وجنانى
أحفظ الود الذى أوليتنى   وأناجى فيه أشتات المعانى

❋ ❋ ❋

عالم أنت فهل يخفى اذا   غالك الموت ويفنى غير فانى
ولك المجد الذى شيدته   خالد الذكر على مر الزمان
كذب الموت اذا قيل مضى   بثراء الروح من هذا الكيان !!
ناسك الفكر على محرابه   صفحة الكون وأقلام الغيوب
خط منها فى جنى قرطاسه   كلمات الحق تستهوى القلوب
فى بيان مشرق الطلعة فيه   بسمة الفجر على الروض الخصيب
وهدير البحر فى غضبته   مزبدا بالهول فى الوقت العصيب

❋ ❋ ❋

وهو فى الحالين جبار الحجا   يأخذ الألباب بالرأى المصيب
نم قرير العين يا خدن النهى   وارقب الدنيا بدار الأكرمين
كنت فيها رائد الفكر الى   أمة تعرف قدر العاملين
مخلصا للحق تعليه فهل   هى ترعى فيك حق المخلصين
كل من فوق ثراها زائل   ليس يبقى غير ذكرى المحسنين
آية العرفان تحييها لمن   عاش للعرفان ، من دنيا ودين

كوميديا فى ثلاثة فصول

حبل الغسيل

بقلم: على أحمد باكثير

ملخص ما نشر

ابو الديوك مدير مسرح النهضة وبلعوم مدير الجمعية الاستهلاكية حاولا طرد ابى حنفى المكوجى من مسكنه فى الربع ومن الحوش الذى يتخذه منشرا لغسيله ليتخذاه حديقة لهما ولكن ابا حنفى دافع بثبات عن مورد رزقه الوحيد ، وتعطف عليه محسنة زوجة ابى الديوك التى تنكر على زوجها اندماجه فى شلة ذات نشاط فى رايها غير مشروع وتقام حفلة فى بيت ابى الديوك حضرها بعض اعضاء الشلة وفيهم الشعوبى الدكتور نجم الدين ويدور النقاش حول المسرح فتعلم انهم لا يقبلون المسرحيات الا من شلتهم فهذا بلعوم مدير التموين يصبح عندهم من المؤلفين وتقبل له مسرحية عنوانها (مسرحية الموسم) ولكن لم يقبل احد من الممثلين او المخرجين ان يمثلها او يخرجها فتوسلوا الى المخرج ميرغنى وما زالوا به حتى قبل اخراجها على مضض واسند الدور الرئيسى فيها الى حنفى الذى كان يتحرق على اتاحة الفرصة له لكى يمثل بعد ان اخذوا على ابى حنفى عهدا ان يترك لهم الربع وهكذا اصطاد ابو الديوك عصفورين بحجر واحد .

الفصل الثانى

المنظر : نفس المنظر كما فى الفصل الاول
الوقت : قبيل العصر

(يرفع الستار فترى أم حنفى واقفة أمام باب اليدروم وهى تنظر ناحية الشمال – الى جزء غير مرئى فى الحوش – فى اشمئزاز وغضب وأسى)

ام حنفى : أعوذ بالله . اليوم أيضا ألقوا الماء القذر فى الحوش ! يا حنفى .. يا حنفى ..

حنفى : (صوته) نعم يا أمه

ام حنفى : تعال يا ابنى

حنفى : ماذا تريدين ؟ الا تتركيننى فى شغل ؟ (يدخل حاملا فى يده كراسة الدور الذى يتحفظه)

ام حنفى : دع هذه الكراسة الآن . تعال انظر !

حنفى : الله .. متى ألقوا هذا الماء ؟ ما كان موجودا حين رجعت منذ قليل .

ام حنفى : ساعة ما استرحنا بعد الغداء . الله يجازيهم أولاد الحرام .

حنفى : ولا يهمك يا أمه . سننتصر باذن الله . ان هذا الدور الذى أعطوه لى فى مسرح النجوم ...

ام حنفى : (مقاطعة) مالنا ولهذا الدور . أهذا وقته ؟ الا ترى ما نحن فيه ؟

حنفى : سيكون قنبلة الموسم

ام حنفى : على غرار (مسرحية الموسم) التى كانت القاضية عليك ؟

حنفى : كلا يا أمه . هذه مسرحية بحق ألفها أستاذ فى فنه لا بلعوم او أبو الديوك !

ام حنفى : طيب طيب وماذا نعمل الآن فى هذه القذارة التى ألقوها فى الحوش ؟

حنفى : ماذا نعمل فيها ؟ نتركها حتى تنشف

ام حنفى : والشاويش الا تخشى منه أن يعمل لنا مخالفة .

حنفي : الشاويش لا مفر من مجيئه يا امه . لا بد ان الجناة قد بلغوه فهو فى طريقه الينا الآن .

ام حنفي : كأننا سنغرم أيضا اليوم . كل يوم يؤخذ منا جنيه كأنما فلوسنا حرام . يارب انك تعلم كم نشقى حتى نحصل على القرش !

حنفي : صبرك يا امه صبرك . سيأتى الفرج باذن الله

ام حنفي : من أين يا ابنى من أين ؟ وانت ترى البؤس الذى نحن فيه . !

حنفي : لا ينبغى أن تشكى فى ذلك . نحن نعيش فى مجتمع اشتراكى لا يمكن أن يعيش فيه الظلم . الظالم فيه لا بد أن يكتشف . والمظلوم فيه لابد أن ينصف

ام حنفي : ما هذا يا حنفى ؟ أهذا جزء من الدور الذى ستمثله فى الرواية ؟

حنفي : الله الله ! انك لتجيدين التنكيت يا امه !

ام حنفي : اى تنكيت يا ابنى ؟ أنما أصرخ من ألمى !

حنفي : لا بأس انما هى أيام وسترين

ام حنفي : سأرى ماذا ؟

حنفي : سترين ميلاد نجم كبير فى سماء المسرح ثم التليفزيون ثم الشاشة البيضاء !

ام حنفي : ما بقى هؤلاء الظلام يا ابنى فلا أمل ولا رجاء

حنفي : سوف ترين يا امه كيف أكسوهم الخزى والهوان

ام حنفي : كيف ؟ ماذا تستطيع أن تصنع ؟

حنفي : سوف أثبت للجمهور الذى ضللوه بدعاياتهم الكاذبة فى الصحف ان الممثل حنفى سالم لم يسقط مسرحيتهم كما زعموا بل هى أسقطته والصقت أنفه بالرغام ، انها مسرحية تسقط القارات الخمس ! والله لو كنت حتى لورانس أوليفيه !

ام حنفي : ومن هذا الرولانص أوفيليه ؟

الشاويش : (صوته من الخارج) يا أبا حنفى !. يا أسطى أبا حنفى ؟

حنفي : الشاويش يا أمه !

ام حنفي : لا حول ولا قوة الا بالله

حنفي : ألم اقل لك ؟

الشاويش : (يقرع الباب) أبا حنفى ! .. افتح !

ام حنفي : افتح له يا ابنى وانا سأصحى والدك . مسكين. لم يكد يضع جنبه على الارض ! (تخرج) .

(يذهب حنفى ليفتح للشاويش ثم يعود ومعه الشاويش)

الشاويش : اين أبوك يا ولد ؟

حنفي : احترم نفسك . أنا اسمى حنفى

الشاويش : طيب يا سيد حنفى اين ابوك ؟

ابو حنفي : (يظهر) هاأنذا يا شاويش

(تظهر سعدية على برندتها وفى وجهها السرور كأنها تتشفى ثم تظهر محسنة فى برندتها وفى وجهها الأسى والتوجع)

الشاويش : فلوسك كتير يا اسطى فيما أظن . كل يوم عندك مخالفة

ابو حنفي : صدقنا يا شاويش : ليس هذا من فعلنا والله .

الشاويش : من فعل من اذن ؟

ابو حنفي : من فعلهم هم .

الشاويش : ما شاء الله .. الهؤلاء السكان المحترمين مزاج فى هذا الماء القذر ؟

ابو حنفي : تعال انظر اليه انه يختلف عن ماء غسيل الهدوم !

الشاويش : يا شاء الله أتريدنى أن اذوقه لأعرف أهو من غسيل الهدوم أم لا ؟

ابو حنفي : ثم خبرنى كيف لا تجئ عندى الا فى اليوم الذى يلقى فيه الماء القذر فى الحوش كأنك على ميعاد معه . كيف تعلل ذلك ؟

الشاويش : كيف أعلل ذلك ؟ أنا من رجال البوليس اعرف مواعيدك ومواعيد الغسيل عندك .

ابو حنفي : اليوم ليس عندنا غسيل . عندنا مكوى فقط . ماذا تقول فى هذا ؟

الشاويش : اتريدنى ان أكذب عينى ؟ من أين اذن جاءت هذه البركة من الماء الوسخ ؟

ابو حنفي : وحياة المصحف الشريف .

الشاويش : وتحلف بالمصحف الشريف أيضا يا ضلال ؟ أأنت من أهل المصحف أنت ؟

ابو حنفي : أوتعتقد انهم هم من أهل المصحف ؟ انك لسليم النية يا شاويش لا تعرف عن هؤلاء الجماعة شيئا !

الشاويش : أعرف انهم ناس محترمون وعلى غير شاكلتك

ابو حنفي : اقسم لك بدينى انهم هم الذين يرمون الماء فى الحوش

الشاويش : ماشاء الله ما صدقتك اذ اقسمت بالمصحف الشريف أأصدقك اذا تقسم بدينك ؟

ابو حنفي : واذا أوضحت لك انهم كانوا يغسلون ويمسحون البيت كله اليوم أتكذبنى ؟

الشاويش : ولماذا أكذبك ؟ هذا دليل على حبهم للنظافة

ابو حنفي : فهذا من الماء الذى غسلوا به البلاط !

الشاويش : ما شاء الله .. اتريد أن تستغفلنى يارجل ؟ امن الضرورى أن يلقوا ذلك الماء فى الحوش ؟ أليست عندهم مجارى ؟

ابو حنفي : عندهم المجارى يا شاويش ، ولكنهم يريدون أن يطردونى من هذا الربع . قلت لك هذا أكثر من عشرين مرة !

الشاويش : دعنى من هذا الكلام فانه لا يسوغ لى فى حلق .. هيا لا تعطلنى ... يدك على جنيه وقرش صاغ

ابو حنفي الأمر لله . خذ (يناوله الجنيه ويأخذ منه الايصال)

الشاويش : هلا كان هذا من الأول ! اذن لأرحتنى وأرحت نفسك : (يكتب فى أوراق معه)

ابو حنفي : ماذا تكتب بعد ؟

الشاويش : ألم تفهم بعد ؟ أعلى أن أعلمك كل يوم ؟ هذه مخالفة اليوم اكتبها عليك لتستعد لدفع غرامتها غدا .

ابو حنفي : لا حول ولا قوة الا بالله

الشاويش : اسمع .. عليكم أن تنشفوا هذه البركة . ان جئت غدا فوجدتها كما هى كتبت عليكم مخالفة جديدة .. مفهوم ؟

حنفي : (كأنه لم يستطع السكوت) اسمع يا شاويش .. هل لك عندنا شيء غير الغرامة ؟

الشاويش : لا

حنفي : أرنا اذن عرض أكتافك

الشاويش : (فى تهديد مستتر) طيب ! (يخرج)

ام حنفي : (بصوت خافض) انظر الى الست سعدية ؟ انها تتشفى فينا !

أبو حنفي : لا بأس يا ستى . لنا رب . هيا بنا ندخل (يخرج هو وحنفى وأم حنفى)

(ترن ضحكة من سعدية)

محسنة : (لا تطيق السكوت) حرام عليكم يا ناس اما عندكم رحمة ؟

سعدية : أعجبك يا ست محسنة أن يربى لنا الناموس والبلاء الازرق فى الحوش ؟

محسنة : هذا افتراء يا ناس والا فأين كانت تذهب مياه أبى حنفى من قبل ؟ لماذا لم تظهر الا فى هذه الايام ؟

سعدية : ما يدرينا نحن ! اسأليه هو

محسنة : وعلام أسأله وأنا أعرف الحقيقة ؟

سعدية : اذن فما لزوم الكلام ؟

محسنة : حرام والله .. كفر

سعدية : فليترك الربع ونحن نتركه

محسنة : يا ناس ! كيف يترك الربع ؟

سعدية : مثلما وعدهم ليلة الحفلة . ألم يقل لهم ليلتها انه سيترك الربع ؟

محسنة : وهل نفذوا هم ما وعدوه به ؟ هل أعطوا ابنه حنفى أدوارا أخرى ليمثلها ؟

سعدية : بعد ما قتل المسرحية التى ألفها زوجى ؟

محسنة : أوقد صدقت يا ست سعدية انه هو الذى قتلها ؟

سعدية : فمن اذن ؟

محسنة : هى التى قتلت نفسها .. انتحرت !!

سعدية : أتسخرين يا ست محسنة ؟

محسنة : أبدا .. هذه هى الحقيقة

سعدية : عندك انت

محسنة : وعند غيرى

سعدية : حتى أبو عصام زوجك يرى غير هذا الرأى

محسنة : أبو عصام لا يعرف شيئا فى المسرح

سعدية : لا يعرف شيئا فى المسرح ؟! فكيف اذن جعلوه مديرا لمسرح النهضة ؟

محسنة : لجهله التام بالمسرح

سعدية : هذا كلام لا يقبله العقل

محسنة : هذا الذى حصل قالوا انهم فى حاجة الى مدير محايد

سعدية : محايد ؟ كيف ؟

محسنة : لا له شأن بالمسرح ولا له الاضبيش فيه

سعدية : الاستاذ أبو الديوك ليس له الاضبيش ؟!

محسنة : أول ما عينوه ما كان له أحد ولكن لسنا نمكن بعد ذلك لم ديوكه وجعلهم مؤلفين وقلب الحياد الذى عينوه من أجله الى انحياز واضح مثل الشفق الاحمر

سعدية : أحمر أو أصفر قد فهمت قصدك . كل هذا اللف والدوران لكى تثبتى أن مسرحية زوجى تافهة ليس لها قيمة

محسنة : لا والله .. ان هذا الرأى ليس من عندى . انه من رأى استاذ يعتبر حجة فى المسرح

سعدية : من هو ؟

محسنة : الاستاذ ميرغنى

سعدية : يغور ! انما يقول ذلك ليدافع عن نفسه وعن خيبته الراكبة على جمل ؟ يجعل الذنب على المسرحية والذنب فى الحقيقة ذنبه هو وذنب تلميذه الخايب حنفى ابن أم حنفى امرأة أبى حنفى . هل يعقل أن مخلوقا اسمه حنفى يكون فنانا قط ؟ هذا الاسم البلدى !

محسنة : أتسخرين من أسماء الناس ؟ ماذا تقولين اذن فى اسم أبو الديوك وأبو البلاعيم !

سعدية : قال يا ست محسنة ! ما بقى الا أن تسخرى من اسم زوجى

محسنة : أنا لم أذكر زوجك وحده أنا ذكرت معه زوجي.

سعدية : اسمعي يا ام عصام اسخرى من زوجك كيف تشائين .. أما زوجي فلا . ان عيلة يقوم عيلة مؤصلة في الصعيد . اسألي عنها يخبروك .

محسنة : أنا لم اقصد أن أسخر من أحد وانما أردت إن أنهاك عن السخرية بأسماء الناس

عصام : (يظهـــر خلف أمه في البرندة) رويدكما . لا ينبغي أن تتشاجرا . انا أسرة واحدة ويجمعنا بيت واحد

سعدية : اسألها يا عصام .. اسأل والدتك

(تظهر زينات خلف والدتها)

زينـــات : النسوان يا ماما .. هل ادخلهن هنا ؟

سعدية : كلا كلا .. أنا داخلة اليهن (تنسحب)

عصام : الحمد لله اذ انسحبت

محسنة : من أجل عميلاتها زوجات تجار الفاكهة والفراخ لتعقد معهن صفقات جديدة

عصام : لا شأن لنا بها يا ماما . عن اذنك أنا داخل .

محسنة : انتظر يا عصام خذ اعط هذا لعمك ابى حنفى

عصام : خمسة جنيهات مرة واحدة ؟

محسنة : ليدفع الغرامات التى عليـــه . ماذا جرى لك يا ابنى ؟ ألا تحب عمك أبا حنفى ؟

عصام : احبه يا ماما ولكنى أخشى أن تنفد نقودك قبل تقدرى أن تسفرينى الى الخارج .

محسنة : لا تخف خير ربنا كثير ثم انها قرض على ابى حنفى سيردها لنا بالكامل .

عصام : صدق الذى سماك محسنة . حقا انت محسنة

محسنه : ان الذى يجرح ويداوى لا يستحق أن يوصـف بالاحسان

عصام : انك يا ماما لتداوين ولا تجرحين

محسنة : ابوك يا عصام هو الذى يجرح وانا وهو شيء واحد . هيا انطلق الى عمك أبى حنفى

عصام : من عينى يا ماما (يتوجه نحو البدروم ثم يعود ومعه أبو حنفى)

ابو حنـفى : ما هذا ياست محسنة ؟ هذا كثير يكفينى جنيه واحد .

محسنة : والشاويش يا أبا حنفى أظنه لا يعود اليك ؟

ابو حنـفى : حتى يعود يحلها حلال

محسنة : غدا سيعود لك فخل المبلغ معك

ابو حنـفى : طيب احفظيه لى عندك حتى لا يضيع

محسنة : كما تحب انت يا أبا حنفى لا تدعهم يغلبوك

ابو حنـفى : جزاك الله خيرا يا ست محسنة . والله لا ادرى كيف أرد جميلك (يخرج)

عصـام : (ينظر فى ساعته) يا ترى ماذا أخرها ؟

محسنة : من ؟ مدام نجم ؟

عصـام : نعم

محسنة : قالت لى فى التليفون انها ستجىء الساعة الرابعة كم الساعة الآن ؟

عصـام : اربعة وربع

محسنة : ربع ساعة ليس بشىء .. المواصلات كما تعرف

عصـام : لكن ليس من عادتها أن تتأخر يا ماما

محسنة : انت قلق عليها يا عصام . هذا كل ما فى الامر ؟

عصـام : أجل يا ماما . انى اشعر نحوها برثاء شديد

محسنة : وانا كذلك يا عصام . مسكينة . ليس لها غيرنا فى هذا البلد .

عصـام : والله ان زوجها هذا لا يستحقها

محسنة : حكمة ربنا يا ابنى . لو لم يتزوجها الدكتور نجم لما أبدت هذا الاهتمام الكبير باللغة العربية ولما كتبت عنها هذا البحث العظيم

عصـام : الدكتور حسنى المؤيد كم فرح ببحثها هذا

محسنة : لكنى خائفة ياعصام

عصـام : لماذا

محسنة : من أستاذك هذا أن يحكى امرها أوامر بحثها هذا لأحد

عصـام : كلا يا ماما انه يدرك جيدا أن عليه أن يكتم هذا السر

سعدية : هو قال لك ذلك

عصـام : بل عاهدنى على ذلك

(يسمع دق الجرس)

محسنة : لا بد انها هى

(يخرجان ثم يعودان ومعهما ليليان)

محسنة : تعال نقعد هنا حيث لا يرانا أحد

ليليـــان : اجل هنا ركن مستور . ماذا نصنع ؟ أصبحنا نتخفى كاللصوص

محسنة : أهلا وسهلا .. كيف حالك ؟

ليليـــان : حال كما تعرفين .. الخوف يملأ قلبى . أتوقع فى كل لحظة ان يظهر كتابى فى لندن فيقرأ عنه زوجى فى الصحف فيكتشف حقيقته . انه كل يوم يتصفح الصحف التى تجىء من لندن لعله يجد شيئا عن الكتاب

محسنة : اعتقد أن ميعاد نشره لم يحن بعد

ليليـــان : كلا يا محسنة الكتاب عند الناشر منذ ستة اشهر وهى مدة كافية . أنا خائفة يا محسنة . لا أدرى ماذا يصنع بى زوجى حينما يظهر الكتاب

محسنة : لا يجرؤ أن يمسك بسوء

ليليــــان : ليس ببعيد أن يضربني أو يقتلني

محسنة : غير معقول

ليليــــان : انك لا تعرفين مقدار ما يحمله للغتكم من بغض فكثيرا ما يعمد الى القلم الذي يكتب به فيحطمه!

محسنة : عمدا ؟

ليليــــان : عمدا . وربما مزق الرسائل التي يكتبها أيضــا فكثيرا ما يعمد الى القلم الذي يكتب به فيحطمه ! غيظه يشد شعره ويقطع هدومه !

محسنة : هذا جنون

ليليــــان : أجل انه مجنون تماما

محسنة : اطمئني .. سنكون دائما في خدمتك . هــذا عصام عنده لك خبر طيب

ليليــــان : صحيح يا عصام ؟ ما هو

عصــام : الدكتور حسني المؤيد مسرور جــدا من بحثك وقال انه سيثير ضجة كبيرة اذا نشر

ليليــــان : لا بد أنه وجد فيه أخطاء كثيرة في النحــو واللغة

عصــام : نعم وسيقوم باصلاحها ويصقل أسلوب الكتاب

ليليــــان : يشكر والله على ذلك .. الواقع أن لغتكم هذه صعبة جدا ولكنها عظيمة .. أعظم من أي لغة أخرى حديثة أو قديمة .. وقد أعددت اقتراحا لو تفضل أستاذك الدكتور فرفعه الى المسئولين لربما كان ذا فائدة كبيرة

محسنة : ماهو الاقتراح يا ليليان ؟

ليليــــان : بخصوص اشاعة اللغة الفصحى في الجماهير حتى تصبح لغة الحديث فلا تبقى حينئذ لغة صعبة

محسنة : وتظنين ان هذا ممكن ؟

ليليــــان : يمكن اذا وضع له تخطيط في الاجهزة الاذاعية والتليفزيونية الضخمة

محسنة : كيف ؟

ليليــــان : يوضع مشروع لمدة عشر سنوات مثلا أو عشرين سنة تتناقص في اثنائها نسبة ما يذاع باللغــة العامية سنة بعد سنة

محسنة : اللغة أيضا يوضع لها تخطيط ؟

ليليــــان : اللغة قبل أي شيء آخر لأنها عنوان النهضة الجديدة في البلاد العربية ومظهر الوحــدة بين شعوبها .

عصــام : اقتراح عظيم والله يامدام نجم

ليليــــان : المهم هو التنفيذ يا عصام .. متى تقابل الدكتور المؤيد ؟

عصــام : غدا ان شاء الله

ليليــــان : خذه اذن معك وقدمه اليه (تناوله أوراقا)

عصــام : بكل سرور يا مدام نجم

ليليــــان : على أن يكون هذا أيضا في السر

عصــام : اطمئني يا مدام

ابو الديوك :) صوته) هل عندك أحد يا محسنة ؟

محسنة : مدام نجم يا محرم

(تسمع حركة في الداخل فيبادر عصام الى اخفاء الأوراق تحت ثيابه وينهض)

ابو الديوك : (يدخل مرتديا الروب دي شمبر) أهلا أهلا كيف حالك يا مدام نجم ؟

(يصافحها)

ليليــــان : الحمد لله

ابو الديوك : وأين هو الدكتور ؟

ليليــــان : ذهب ليمر على المكتبة أولا ثم يجيء هنا

ابو الديوك : ليتصفح الصحف لعله يجد فيها خبرا عن كتابك! آه متى يطلع كتابك هذا يا مدام ليروق بال الدكتور ويرتاح

ليليــــان : من يدري يا أستاذ محرم لعل باله لا يروق ولا يرتاح !

ابو الديوك : لماذا ؟ أيريد أن يفعل في اللغة العربية أكثر مما فعــل ؟ لقد جاء بك خصيصا من انجلترا لتجهزي له عليها !

(يضحك فتضاحك المرأتان)

عصــام : (يدخل) عمي الدكتور نجم

ابو الديوك : اهلا وسهلا (يدخل نجم) كنا الآن في سيرتك يا دكتور

نجــم : ترى ماذا كنتم تقولون ؟

ابو الديوك : كنت أقول لمدام نجم انك جئت بها خصيصا من انجلترا لكي تتول هي الاجهاز على اللغة العربية

(يتضاحك نجم وأبو الديوك)

نجــم : ثم تدفنها أيضا من غير كفن

ابو الديوك : مثل الشهداء ؟

نجــم : بل مثل البعداء (يلتفت الى محسنة) كيف حالك يا مدام ؟

محسنة : بخير والحمد لله كيف انت يا دكتور ؟ هيــه وجدت اليوم شيئا عن الكتاب ؟

نجــم : هي أخبرتك ؟

محسنة : نعم

نجــم : تصفحت كل الصحف فلم أجد كلمة عن الكتاب ولا اشارة اليه

ابو الديوك : تنتظر ظهور الكتاب بفارغ الصبر !

نجــم : لأشفي غليل . انه كتاب العمر . الكتــاب الذي ظللت انتظره سبع سنين (ينظر الى عصام) خبرني يا عصام .. أحقا تقرر ســفرك الى مدريس

عصام : ان شاء الله يا دكتور

نجم : لتحضر للماجستير ؟

عصام : بل للدكتوراه ان شاء الله

نجم : عال عال يا عصام

ابو الديوك : يريد يا سيدي أن يكون مثلك !

نجم : اخترت الموضوع ؟

عصام : نعم

نجم : ترى ماهو ؟

عصام : موضوع عن الشريعة الاسلامية

نجم : الشريعة الاسلامية ! (في شيء من خيبة الأمل) الشريعة الاسلامية !

(ثم يستدرك كأنه يجد المبرر لهذا الاختيار) اختيار موفق يا عصام !

أجل ادرس الشريعة الاسلامية في باريس لتعرفها على حقيقتها !

عصام : غرضي أن أعمل مقارنة بينها وبين القانون الروماني .

نجم : ها .. هذا موضوع حي فعلا سيكون توفيقا عظيما لو استطعت أن تثبت أن الشريعة الاسلامية مأخوذة بحذافيرها من القانون الروماني

عصام : ربما تكون نتيجة البحث مغايرة لهذا تماما يا دكتور

نجم : ماذا تعني

عصام : ربما يثبت البحث أن الشريعة الاسلامية لها خصائصها الاصيلة ولا صلة بينها وبين القانون الروماني

نجم : القانون الروماني يا ابني سابق للشريعة الاسلامية

عصام : وهل يعتبر السبق الزمني دليلا كافيا على أنها مأخوذة منه أم لا بد من أدلة وبراهين علمية تثبت ذلك ؟

نجم : طبعا لا بد من أدلة وبراهين علمية تثبت ذلك

عصام : لا يصح لنا اذن أن نسبق النتائج والا فلا داعي لعمل البحث

نجم : (يعتريه الخجل) برافو يا عصام . انك لقوي الحجة والمنطق وأنا قوي الأمل أن رسالتك ستكون ذات مضمون تقدمي يساعد بلادنا على التحرر من القيود التي ترسف فيها منذ أكثر من ألف عام

عصام : أظنك يا دكتور تقصد منذ ألف وأربعمائة سنة؟

نجم : (مرتبكا) لا .. نعم .. حوالى هذا التاريخ

عصام : كأنك تعتقد يا دكتور ان الاضطهاد الديني الذي كان المصريون يعانونه من الروم في ذلك العهد أفضل من الحرية التي تتمتع بها اليوم ؟

نجم : (يزداد ارتباكا) كلا كلا يا عصام من قال ذلك؟

ابو الديوك : ما هذا يا ولد ؟ أتريد ان تدعي أنك أعلم من الدكتور نجم ؟

عصام : انما كنا نتناقش يا أبي

ابو الديوك : أليس من الواجب أن يكون عندك ذوق ؟

نجم : دعه يا أستاذ محرم . أنا مسرور منه جدا

ابو الديوك : كلا .. هذا الولد عنده ميول رجعية . لو كنت أعلم لما أدخلته كلية الحقوق

عصام : وما ذنب كلية الحقوق يا بابا ؟

ابو الديوك : يكفي أن فيها أستاذك أستاذ الشريعة !

نجم : ما اسم هذا الاستاذ ؟

ابو الديوك : لا أدري ما اسمه .. اسأل التلميذ

عصام : انك تعرفه جيدا يا بابا .. اسمه الدكتور حسني المؤيد

نجم : هذا أستاذ عظيم .. لولا شيء من الحنبلية فيه

ابو الديوك : شيء من الحنبلية ؟ هذا حنبلي أكثر من ابن حنبل نفسه !

عصام : انه متخرج من السوربون

ابو الديوك : سوربون ؟ هذا غير معقول !

عصام : الدكتوراه التي عنده من السوربون

ابو الديوك : لا يظهر عليه ذلك !

نجم : تريد أن تقول لا أثر للسوربون فيه ؟

ابو الديوك : تمام

عصام : ذلك لأنه أصيل في ثقافته وراسخ في علمه

ابو الديوك : أظنك تريد أن تكون رجعيا مثله ؟

عصام : ياليت !

ابو الديوك : سمعت يادكتور نجم ؟! سمعت ماذا يقول ؟ لهذا لم أوافق أنا على سفره فاياكم أن تلوموني على ذلك أنت وأصحابك .. يريد أن يدخل السوربون ليكون رجعيا مثل أستاذه !

محسنة : انما هذه تعلة تعتذر بها أما السبب الحقيقي فشيء آخر

ابو الديوك : ما هو ؟

محسنة : لا داعي لذكره

ابو الديوك : حامى عن ابنك .. ولكنه كعادتك .. والله ماأفسده غيرك

محسنة : غيرك كان يعتز بابن مثل عصام ناجح ممتاز . يطمح ان يكون أستاذا كبيرا يخدم وطنه وامته

ابو الديوك : في وسعه ان يكون أستاذا كبيرا وهو هنا . ليس من الضرورى أن يضيع فلوسنا فى الخارج

محسنة : انها ليست فلوسك على كل حال

ابو الديوك : اعلم ان فلوسك كثير ولا بأس عندك ان تبدديها هنا وهناك . ورثتيها من ابيك الاقطاعى الذى لم يتعب فى جمعها

محسنة : وهل تعبت انت فى جمع فلوسك ؟ ربما يخيل لك الوظيفة والجاه والنفوذ !

ابو الديوك : الجاه والنفوذ هما من أسلحة أبيك الباشـــا فى العهد البائد

محسنة : (غاضبة) لا تتعرض لسيرة أبى من فضلك !

ابو الديوك : لم لا ؟ أليس من الاقطاعيين الظلمة ؟

محسنة : أيهما أبشع وأشنع ؟ الذى استغل نفوذه فى عهد الفساد أمس أم الذى يستغل نفوذه فى هـــذا العهد النظيف اليوم ؟

ليلبـــان : كلا يا جماعة .. ان كان وجودنا يثير بينكم هذا الشجار فالأفضل أن ننصرف (تنهض) هيــا بنا يا دكتور (ينهض نجم أيضا)

محسنة : (تقعدها) اقعدى اقعدى لن نتشاجر

ابو الديوك : أقعد يادكتور نجم !

نجـــم : حصلت البركة كما يقولون ونستأذن

ابو الديوك : كيف هذا ؟ أنسيت اجتماعنا اليوم مع اخواننا رجال المسرح ؟

نجـــم : كلا ما نسيت ولكن فيكم الكفاية

ابو الديوك : كلا .. انت أستاذنا ومستشارنا لا نستغنى عنك أبدا .

(يجلس نجم وليلبان)

نجـــم : والأستاذ صلصل سيجىء ؟

ابو الديوك : طبعا يا دكتور .. الا تحب أن يجىء ! انه يحبك كثيرا يادكتور . يحبك الى حد الموت !

نجـــم : (فى حقد يكتمه) وأنا أحبه كذلك الى حد الموت ولذلك سألت عنه

(يرن جرس الباب فيخرج عصام ليفتح)

ابو الديوك : من يا عصام ؟

عصـــام : (صوته) الاستاذ صلصل

ابو الديوك : حبيبك يا دكتور !

نجـــم : (على حده) ذكرنا سيرة القط جاء ينط !

ابو الديوك : ادخل يا أستاذ صلصل

صلصل : (صوته) لحظة يا أستاذ محرم .. فى انتظـــار اخواننا .. انهم مقبلون

ابو الديوك : اذهب يا عصام قل لعمك عبد الواسع الجماعة وصلوا

عصـــام : (صوته من الداخل) حاضر يا بابا .

على احمد باكثير

هوتنتوت

للشاعر : عباس محمود العقاد

ربة الحسن احفظيـه واحفظى   عزة الحسن فللحسن خطر
واسألى الزهرة من صاحبهـــا   ولمن فى كل روض تدخر ؟
ليست الزهـــرة للجانى ، ولا   زارع الروض،ولا شارى الزهر
انما الزهرة للقلب الـذى   فتنتــه بشـميم ونظـر
انت لى وحدى ، وان نازعنى   فيك بالمـــال وبالبغى زمـر
انت بالمـــال حطام ، ولمن   يطلب الغى طعـــام ووطر
ما الهتنتوت .. كما قد زعموا   وحدهـــا آكلة لحم البشر ؟!

من ديوان « مابعد البعد » تحت الطبع

استراتيجيات الحرب عند العقاد

بقلم : عبد الفتاح الديدي

يتهيب الكتاب عادة تناول موضوعات استراتيجيات الحرب . ولكن الكاتب اذا نشأ نشأة صحفية سليمة واشتغل بتحرير الموضوعات فى أزمنة الحرب والسلم وجد نفسه قادرا على تناول الموضوعات العسكرية بنفس السهولة التى يتناول بها الموضوعات المدنية . واشتغال الصحفيين بالتحرير العسكرى هو الذى يؤهلهم لمعالجة الموضوعات العسكرية فى شجاعة وفهم .

وكان العقاد كاتبا فذا فى تناول استراتيجيات الحرب بالتحليل والتفسير كما كان فذا فى تناول جملة ابواب الفكر والأدب والفن والشعر والسياسة والتاريخ والدين . وقد تأهب لأعمال الصحافة والدعاية تأهبا جادا مكنه من معالجة الخطط العسكرية ابان الحرب العالمية الثانية معالجة العارف الخبير .
ويحسن بنا أن تنظر فى هذه التحليلات العقادية لاستراتيجيات الحرب لندرك كيف بنى ايمانه بانهزام بعض الجيوش وانتصار بعضها الآخر على حقائق مستنبطة من الخطط الموضوعة لدى هذه الجيوش . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى يمكننا ان نجد فى هذه الكتابات التى حلل فيها العقاد مشاكل الحرب وجهة النظر التى تتكون لدى المدنيين عن أعمال العسكريين .

والواقع أن دراسات العقاد عن الخطط الحربية وامعانه فى قراءة بحوثها وتنظيماتها هى التى أهلته فيما بعد للكتابة عن النواحى العسكرية فى شخصية النبى محمد عليه السلام وخلفاء الاسلام وقادته . وكان ادراك العقاد للمسائل الحربية واضحا سليما حتى ملك ناصية قلمه حين سرد كل الأحداث المتصلة بشئون الاسلام العسكرية ومشاكل الفتوحات والغزوات التى واجهها المسلمون . ومناقشته للمعارك الحربية والخطط الموضوعة من كلا الجانبين قبل القتال وأثناءه هى مناقشة رجل أمعن النظر طويلا فى كل الدقائق والتفاصيل العسكرية . ولا شك أن العقاد استفاد من منطقه الخصب فى حساب درجات الاحتمال فى كل حدث وعند كل مظنة ازاء المواقف المختلفة .
ولكن لا شك أيضا فى أنه كان يشعر فى قلبه بجدية الحياة ومسئوليتها ويحس فى داخلية نفسه ونظامه بصرامة الجندى . وعاش العقاد حياته كلها داخل اطار من النظام الدقيق المحسوب بالساعات والدقائق . ويحسب المرء لذلك أنه ورث الجندية أو تمنى الاشتغال بالعسكرية فى حياته . ويقول هو نفسه فى حياة قلم (ص ٣٢) : « بل تمنيت حينا أن أكون جنديا . وتمنيت حينا آخر أن أكون عاملا زراعيا . وهما فيما يبدو صناعتان . ولكننى لم البث أن علمت أننى تعلقت بالجندية لأننى أريد صناعة القلم وتعلقت بالعلوم الزراعية لأننى أريد صناعة القلم . وان صناعة القلم كانت تلمحنى بعينيها الساحرتين من وراء النقاب وانا احسبنى اغازل صناعة السيف أو اغازل صناعة المنجل والمحراث » .
ولم تخيب صناعة القلم ظنه حين خاض معارك الجيوش على الخرائط وفى بطون الكتب فالهمته البراعة فى التخمين والشجاعة فى الاستطلاع والصواب فى التقدير والحكم وقياس الاحتمال . كان على أهبة لقياس كل خطوة مستمدة من تقدير قائد حربى كما كان بارعا فى اقتناص العيوب والمزايا من كل خطة ونظام . لذلك يقول فى كتابه عن **هتلر فى الميزان** وهو بصدد الكلام عن دانزيج كسبب الحرب المباشر : « فليست دانزيج هى بيت القصيد ، انما بيت القصيد هو خنق بولونيا وما يجاورها من أمم أوربا الوسطى . فلا تجد تلك البلاد منفذا لتجارتها فى غير الأرض الألمانية من الشمال أو الجنوب . ففى الشمال دانزيج وفى الجنوب النمسا ولن يدخل الى تلك البلاد أو يخرج منها شئ الا باذن النازيين . وحتى استعبدت أوربا الوسطى للنازيين هذا الاستعباد فمصير أوربا الشرقية وما وراءها معروف . ومصير الخطط النازية كذلك معروف . فهى خطط تجتمع فى خطة واحدة وهى

استعباد كل من يبتلى لهم بجوار او يقف لهم في طريق » (ص ٦١) ٠

كذلك يجد العقاد غرابة فى أن يجهل رجل شبيه بهتلر مسائل الحساب والتقدير اللازمة للقيادة العسكرية ٠ فمن أخص خصائص القائد العسكرى أن يحسب مواقيت الهجوم وترتيب الهجمات فى أدق صورة يتخيلها العقل البشرى ٠ وينبغى أن ترتبط تقديرات السلاح بتقديرات السياسة حتى يضمن النجاح فى المهمة التى يود تحقيقها ٠ ويتساءل العقاد : « لماذا لم يضرب هتلر دانزيج بدلا من ضرب التشك قبل مؤتمر ميونيخ ! » ويجيب العقاد على هذا السؤال بقوله : « لم يكن لبولونيا ضمان من دفاع فرنسا وبريطانيا فى تلك الآونة ولم تكن على استعداد للقتال وحدها كما ظهر بعد ذلك فى الحرب الحاضرة (العالمية الثانية) ٠

« فاذا ضرب دانزيج واتفقت الدول على خطة مثل خطة ميونيخ فانه لقابض اذن على زمام بولونيا وبلاد التشك وجاراتها جميعا فى مرافق التجارة والصناعة والاقتصاد فلا تقوى احداهن على رد كلمة ولا على رفض اقتراح » ٠

هكذا يحسب العقاد مسألة توقيت الهجمات التى سددها هتلر الى الأراضى المجاورة قبيل الحرب. ويعيب على هتلر تلك المآخذ التى جعلته يتورط فى حرب كان فى غنى عن التورط فيها لو استفاد من الظروف ٠ ثم يسأل العقاد : « ثم لماذا لم يقبل هتلر ما اقترحه الرئيس روزفلت وارتضاه ساسة الحلفاء من عقد المؤتمر الدولى الذى يفصل فى جميع مسائل الخلاف ؟ » ٠

وهنا تبزغ فى ذهن العقاد تلك الاحتمالات التى كان على القائد العسكرى أن يحسب حسابها فى حينها من أجل الاستفادة من الظروف وتقدير المنافع حينما تأتى بها المناسبات ٠ ويقول العقاد : « ألا يجوز أن تختلف الدول فى ذلك المؤتمر فيواجهها مختلفات بدلا من مواجهتها متفقات ؟

« الا يجوز أن ينتزع من أنصار التسليح فى الدول الديمقراطية حجتهم الكبرى التى أقاموها على رفضه التحكيم فلا سبيل الى معاملته اذن بغير التسليح ؟

« الا يجوز أن يعذره الرأى العام فى الدنيا بأسرها اذا لجأ الى الحرب لأنه قد أكره عليها اكراها بعد أن جرب وسائل الاقناع فلم يبلغ بها ما أراد ! »

كل هذه الاحتمالات فى رأى العقاد كانت أكبر مشجع لهتلر على حسن التصرف فى مثل هذه الظروف ٠ فقد كانت كل هذه الاحتمالات مرجحة وجائزة الوقوع وأفضل بكثير من الوضع الذى اختاره ٠ وهتلر لم يكن قويا يوم أحجمت الدول عن حربه ٠ فليست القوة اذن هى التى أكرهت الدول على تركه وشأنه يفعل فى البلاد المجاورة ما يريد ٠ انما كانت هناك حالة اغضاء فغيرها هتلر بحالة المقاومة والعداء ثم بالحرب الشاملة ٠

ويختم العقاد صفحات كتابه عن هتلر فى الميزان وهتلر ماض فى مغامراته الجديدة التى يقامر فيها بأرواح الملايين ٠ ويعنى العقاد بمغامرته هجومه العنيف على شمال فرنسا من طريق هولنده وبلجيكا ولو كسمبرج ٠ ويفسر العقاد هذه الهجمة بأنها دليل على الاستيئاس وعلى أنه يضيق ذرعا بالحصار ٠ وهذا كما يقول العقاد هو ما قدرناه من بداية الحرب ولولا أنه منهوك مضطر فى نهاية الشوط الى التسليم لما جازف بهذه الهجمة ٠ وتلك علامة خير ٠ وان حبوط هذه التجربة النازية لهو أصدق نذير بحبوط الدولة النازية وان تطل الأيام ٠٠ ولعلها لا تطول ٠ وكان كلام العقاد هنا بمثابة النبوءة عن الدولة النازية فى سياستها بناء على وقائع وشواهد من ميادين الحرب والقتال ذاتها ٠ وكان العقاد مستندا فى تنبؤاته المتعلقة بمستقبل هتلر على عناصر جوهرية فى الحرب والمعارك وفنون القتال ٠

وقد تنبأ العقاد أيضا فى نهاية يوليو سنة ١٩٤٠ بأن هجوم ألمانيا العام على الجزر البريطانية لن يقع. فقال فى مقال اذاعى : « كان منتصف يوليو موعد الهجوم الألمانى على الجزر البريطانية وأوشك يوليو أن ينتهى ولم يبدأ الهجوم ولا بدأت مقدماته. وبقى أن نترقب شهر اغسطس بعد أن فرغ شهر يوليو ٠ فاذا جاء اغسطس فأكبر الظن أنه سيثبت فى أيامه نبوءة واحدة ٠ وهى أن الهجوم خرافة من الخرافات »

ولم يقل العقاد ذلك الا بعد أن بحث أمر الهجوم الهتلرى من جميع وجوهه العسكرية ٠ فتبين له :

(١) أن هتلر كان يرجو أن يعتقل الحملة البريطانية بأسرها فى الأرض البلجيكية ٠

(٢) كان هتلر يرجو أن يسوق الانجليز الى شرك كبير ينصبه لهم فى الارض الفرنسية فاذا وقعوا فيه خلت الجزر البريطانية من حاميتها الكبرى ، ولم يبق فيها من تلك الحامية الا القليل الذى لايدفع القاتلة ٠

(٣) والشعب البريطاني يكون يومئذ على الحالة التي يبتلي بها شعب توالت عليه الضربات فلا يصبر على المقاومة .

ويضيف العقاد الى ذلك قوله : « كان جائزا أن يدخل هذا وأشباهه في تقدير هتلر لو صح حسابه. ولكن الحساب المرجو قد اختل من جميع نواحيه.. فاذا كان هتلر اعتزم الهجوم من قبل حقا وصدقا ففي هذه التقديرات التي اختلت وفي هذه العوارض التي عرضت مدعاة للتردد ومراجعة الحساب » .

وكثرت التحركات العسكرية النازية في بلاد البلقان في مارس سنة ١٩٤١ . وساور القلق الكثيرين من نوايا هتلر في مناطق الشرق الأوسط. وعالج العقاد الموضوع كمعلق عسكري ملم بشئون المعارك واحتمالات الحرب . ويحدد العقاد جملة التكهنات الشائعة في عدد من الأسئلة بقوله : « لماذا يحتل النازيون بلغاريا ؟ ولماذا يزحفون على تركيا ان أرادوا الزحف عليها ؟ ولماذا يعبرون يوغوسلافيا ان لاح لهم أن يعبروها ؟ » .

ثم يجيب على الظنون التي تظهر في جملة الأقاويل بتفسير في هذه العبارة : « من الجائز أنهم (أي النازيين) يحذرون اتفاق البلقانيين عليهم بعد هزيمة ايطاليا في اليونان ونجاح المقاومة اليونانية. فحركة النازيين في بلغاريا هي من قبيل تخويف الخائف . وليست الحاجة الى المدد التجاري أو المدد العسكري هي التي تلجيء النازيين الى الاغارة على البلاد البلغارية . وان قيل انهم يتجاوزون بلغاريا الى تركيا فماذا يغنمون من هذه الحركة التي لاتؤمن عقباها ؟ ان عبور المضائق التركية ليس بأسهل من عبور المضائق الانجليزية عند فرنسا وبلجيكا .

« وهبهم مهدوا طريقهم في الأرض التركية عنوة أو طوعا كما يحبون . فالى أين يذهبون من هذه الطريق ؟ أيتحدون الى العراق فايران فالأفغان فالهند ليضربوا الدولة البريطانية هناك ؟ أم تراهم ينحدرون من تركيا الى سوريا الى فلسطين الى صحراء سيناء الى قناة السويس ؟

« والأرجح أن هتلر يتوسط في الأمر فلا يزحف الى سالونيك ولا ينفض يديه من بلغاريا ويوغوسلافيا . وانما ترجح اكتفاء هتلر بالتوسط بين الزحف والتراجع لأن هذا التوسط كاف فعلا للحيطة الضرورية في الموقف الحاضر . بل هو أسلم من التوغل ولو تأتي الوصول الى سالونيك لأن التوغل يثير عليه المشاكل والمساومات ويشتت جيوشه ويقربه من غارات أعدائه الهوائية والبحرية ولا يفيده وراء ذلك بفائدة تساوي هذه المغامرات » .

ثم يعلل العقاد ذلك كله في عبارة وجيزة بقوله: « تلك أمثلة من الأسباب الكثيرة التي يعللون بها حركات النازيين في البلقان . وما من سبب منها الا وهو دليل على انفلات الزمام من أيدي النازيين وأنهم لا يفعلون ما يشاءون ولا يوجهون خطط السياسة والقتال مختارين » .

وتلك نظرة فاحصة عميقة يذهب فيها الكاتب الى أعماق المواقف الحربية فيستخرج منها العبر والدروس النافعة في أبواب الاستراتيجيات الحربية

وقد أفادته هذه الخبرات وهذه الالمامات بشئون المواقع الحربية لأنها جعلته أقدر على وزن الأمور وفهم الأحداث كلما تعرض لاحدى شخصيات القادة المسلمين الذين أرخ لهم .

بل ان وعى العقاد العسكري هو الذي جعله يفطن الى مواضع القوة والجلال والفن في تحركات الجيوش العربية الاسلامية . والصورة الشائعة في خيال أكثر القارئين عن البادية أن حروب الصحراء لم تكن الا مشاجرات بالسيوف والرماح أو بالقسي والمقاليع ولا ترجع الى نظام ولا تنهج على خطة . وتلك في رأي العقاد **(راجع كتاب عبقرية خالد)** صورة مضللة لمن يسترشد بها في اختبار قدرة البادية على الحروب الكبيرة والمناوشات الصغيرة .

وينتهي العقاد من ذلك كله الى رأي في موضوع القدرة العسكرية لدى الغزاة من العرب مؤداه أن المسلمين كانوا أيضا أخبر بالفنون العسكرية من أهل فارس والروم . وكانوا أقدر على تنفيذ الخطط العسكرية التي تنفعهم من قواد هاتيك الدولتين . وان البادية العربية سواء في عصور الجاهلية أو صدر الاسلام لم تكن من الجهل بفن الحرب بتلك الحالة التي توهمها المؤرخون الأوربيون بل معظم المؤرخين عامة ولا نحاشي منهم العرب والمسلمين .

وهكذا أدى اهتمام العقاد بالمعارك الحربية المعاصرة الى الالمام بمواقع الجيوش وخطط القتال . وكان المامه بهذا الموضوعات مقدمة لتصحيح مفهومات كثيرة عن خبرات العرب العسكرية وعن أساليبهم في القتال . ولأول مرة قرأنا في عبقريات العقاد كلاما عربيا سليما في موضوعات الحروب التي واجهها المسلمون . وانصف العقاد العرب من هذه الناحية أيضا أضعاف ما أنصفهم في الجوانب الأخرى. وهذا فضل يضاف الى أفضاله الكثار

« عبد الفتاح الديدي »

مواقف إنسانية في حياة العقاد

بقلم: عامر العقاد

طلبت الرسالة أن نتناول العقاد – رحمه الله – بمناسبة ذكراه من جانب لم يتناوله أحد من قبلنا، وليس معنى ذلك سوء تقدير منا لمن تناولوا بعض جوانب الرجل المتعددة فى كتاباتهم سواء الكتب منها او البحوث أو المقالات انما لأن ذلك الجانب فيه لا يعرفه عنه الا من يلازمه ملازمة قريبة، وقد سعدت بتلك الملازمة زمنا طويلا فرايت ان ذلك الجانب الانسانى فى العقاد كان آية الآيات فيه .. وقد رحبت باقتراح الرسالة لنستطيع به ان نزيل فكرة، بل أفكاراً رانت على عقول بعض القراء الا وهى ان العقاد له من اسمه نصيب ... وانه من اصحاب القلوب المتحجرة الفظة، وانه من أقل مايوصف به الشدة والعنف والبطش وغير ذلك من الصفات التى الصقها به بعض الصحافيين من انصار المذاهب الهدامة والمتجردين من العقيدة والتى جعل العقاد نفسه حارسا من اجلها ومدافعا غيورا عنها ضد أولئك الادعياء من حملة الاقلام الذين منيت بهم صحافتنا العربية الى وقت قريب .

لقد مضى على وفاة العقاد عام، وهو اليوم حى اكثر منه يوم كان يمشى ويتنفس، ويكتب ويؤلف ويأكل ويشرب ويضحك ويثور .

ذلك لأن الموت لا وجود له فى قاموس العبقرية فكان الحياة التى يحياها العبقرى على الارض ليست سوى الفاتحة فى سفر حافل بالفصول والمشاهد هو سفر حياة العبقرى بعد الموت .

فالعقاد من بعد أن عقل الموت لسانه، واختطف النور من عينيه، واسترق النبض من عروقه، اصبح قوة تحرك ملايين الالسن، ونورا يتدفق من ملايين العيون، ونبضا يختلج فى القلوب، وذلك فوق ما استطاع بلوغه فى حياته بدرجات .

ولقد عاش العقاد على الارض عشر سبعات او يزيد من السنين .. كان خلال حياته «اشبه بالورقة النقدية ذات المائة جنيه التى كانت باقية فى مصرفنا الادبى وبذهابها يذهب كل شيء» كما قال انيس منصور يوما عن العقاد فى احد اعياد ميلاده الاخيرة .

لقد كانت السنون التى عاشها العقاد بيننا نفحة قصيرة من الزمان ولكنها فى حياة رجل كالعقاد تكاد تكون سلسلة متواصلة من الاشعاع والبريق تتخللها حلقات من الكآبة والمرارة . فالعقاد قد عرف طريقه منذ صباه الباكر فما حاد عنه حتى آخر حياته . وذلك شأن العباقرة الذين تحملهم الحياة رسالة فيدركون اهميتها وينصرفون اليها بكل قواهم، ثم ينصرفون بها، عن كل شيء عداها ولا ينفكون يغالبون الايام .. فآنا يماطلون، وآونة يهاجمون حتى يتغلبوا فى النهاية على الايام . ويؤدوا رسالتهم على خير وجه مستطاع .

لقد أدى العقاد رسالته، وماهى رسالته ؟!

هى رسالة التحرر الادبى والروحى من القيود القديمة البالية، رسالة الفكر العميق التى تجعل من الانسان آخا لكل الناس ومن كل الناس اخوة لكل ما فى الكون، ومن كل ما فى الكون وحدة متماسكة فى الله .

لقد مثل العقاد العزم الذى استقاه من اثر البيئة فى كتاباته، ومثل النبل فى ارتفاع ذلك الاقليم من اقاليم مصر العليا التى ترعرع شابا تحت سمائها، ومثل الاريحية التى عرفها كل من

اتصل به من اصدقائه ومحبيه فى كل عمل من الاعمال التى قام بها او تصدى للقيام بها فى أمانة وثقة منقطعة النظير .

لقد كان العقاد فى حياته ، ولا يزال فى مماته مائدة سخية ممدودة لكل قارىء عربى حصيف وذلك هو الاجر الاكبر الذى كان يرجوه ذلك العملاق الجبار ومابرح يترجاه .. اذ لازالت كتبه تعاد طبعاتها بشكل لافت وتلاقى من القراء أكثر مما كانت تلاقى فى حياته من اهتمام ... ولا سيما اولئك الذين كانوا لا يقرءون له فى حياته دون سبب وجيه يبدونه .

لقد حاولت أن استرجع ذكرياتى عن بعض المواقف الانسانية التى لمستها فى حياة ذلك الرجل العظيم والفيتها كثيرة متعددة يحتاج سردها الى مقالات عديدة ، او الى كتاب مستقل يتناول الرجل من ذلك الجانب دون سواه ، وهو من الجوانب المهمة فى دراسة حياة العباقرة والعظماء على السواء .

لقد آمن العقاد بالانسانية ليس فى ذلك شك .

وعاش بقلمه وبقلبه معا من أجل الانسان ليس فى ذلك شك أيضا .

فلو ذهبنا نستقصى المواقف الانسانية التى عشتها بمفردى معه ، ورأيت التأثر الذى كان يبدو عليه فى كل منها لما استطعنا أن نتقصاها جميعها ، فالبحث فيها طويل متشعب ، والمجال بالنسبة للمقال لا يساعد ، فحسبنا ما سنقول وهو قليل من كثير فى ذلك الخضم الرحب المتعدد الجوانب .

وان انس لا انسى ذلك اللمعان الذى كنت اشاهده فى تينك العينين ، ولا تلك الدمعة الحائرة تترقرق فيهما وهو يغالبها فى كل موقف من تلك المواقف الانسانية الخالدة من مواقفه .

ففى ظهر يوم من أيام صيف عام ١٩٥٨ والعقاد فى صومعته بمصر الجديدة ، دق جرس باب شقته ، وكان الطارق سيدة تحمل باليسرى وليدتها وبجوارها ولدان آخران ، ويومها فتح العقاد الباب لها بنفسه حيث كنت أعمل فى ترتيب بعض كتبه بحجرة المكتب ، وما ان رأت تلك السيدة العقاد أمامها حتى اعتذرت له عن ازعاجها له بالحضور لمقابلته دون موعد سابق أو معرفة سابقة . واستطردت فى قولها أن الامر الذى دفعها للحضور اليه هو ماسمعته عنه من بعض الناس الذين التقوا بها فى مدخل شارع السلطان سليم حيث يسكن العقاد منذ مدة طويلة ... فقادها العقاد الى حجرة استقباله ليسمع بقية حديثها .

وجلست السيدة وشفتاها ترتجفان قبل خروج الكلمات الدفينة التى تلخص قصتها ... فقالت والدموع تسح على خديها انها من مدينة الاسكندرية وزوجها يعمل فى احد المصانع بالقاهرة .. ولسوء تفاهم نشب بينهما صباح ذلك اليوم طردها ذلك الزوج واقسم الا تمكث بين جدران ذلك البيت لحظات ، وخرجت دون وجهة تعرفها .. وانها لاتعرف أحدا فى هذه المدينة الكبيرة ، فاخذت تسأل كل من يلقاها أن يتصدق عليها بقروشه حتى تجمع اجرة سفرها وأولادها الى الاسكندرية اذا ما تيسرت لها تلك القيمة ، فقام العقاد بعد أن هدأ من ألمها ومنحها مبلغا من المال ليس بالقليل وأمر سائقه وخادمه بأن يقدما لها ولأولادها طعام الغداء وأن يوصلها السائق الى محطة العاصمة ويظل بصحبتها حتى تركب القطار .

وذات مساء هناك بالاسكندرية صحبت العقاد لشارع سعد زغلول لشراء بعض حاجات تلزمه أثناء مدة المصيف ، ودخلنا أحد المحلات التجارية هناك فاستقبلنا شاب فى الخامسة والثلاثين من عمره تقريبا مرحبا بالعقاد ترحيبا غريبا ظننت فى بادىء الأمر أن ذلك الشاب احد قرائه أو المعجبين به وما اكثرهم بحمد الله .

وحينما قدم العقاد قيمة ماشتراه استاذنه ذلك الشاب فى أن يجرى له خصما بنسبة ٥٠٪ من قيمة ما اشتريناه ، فتعجب العقاد لذلك وسأل الشاب عن سبب ذلك .. فقال ذلك الشاب للعقاد : ياأستاذ هذا جزء من جميل لك علينا أسديته الى دون معرفة سابقه ، فسأله العقاد اى جميل هذا ياسيد ؟! فرد ذلك الشاب قائلا : لابد أنك تذكر تلك السيدة التى قصدتك بالقاهرة منذ شهر تقريبا عقب غضب زوجها عليها ومنحتها سيادتكم فى ذلك اليوم قيمة سفرها وأولادها من القاهرة الى الاسكندرية فحضرت الينا ولولاك لحدث لها أمر قد لا تحمد عقباه اذ انها كانت لا تعرف أحدا فى تلك المدينة الصاخبة ..

لقد كانت تلك السيدة ايها الاستاذ العظيم ،

هى شقيقتى الوحيدة ، وقد قصت علينا قصتها معكم عقب عودتها ولسانها ووالدتى المسنة لهجا لك بالدعاء وطول العمر . وخرجت مع العقاد يومذاك وبعد خطوات وقف ليقول لى : صدفة عجيبة يامولانا .. تلك هى السيدة التى جاءت الينا ظهر ذلك اليوم الا تذكرها !! قلت : نعم .

ومما اذكره مرة من المرات أن العقاد كان يمر بازمة مالية فى سنة من السنين التى قضيتها معه ، وكانت احدى مؤسسات النشر قد اشترت منه منذ سنوات احد مؤلفاته عن « القصة الامريكية القصيرة » بثمن قليل فى بداية انشائها بالقاهرة .. وقبل وفاته بسنتين تقريبا أعادت تلك المؤسسة طبع ذلك الكتاب فى طبعة فاخرة لنفاده من السوق فراى مديرها أن يعطى العقاد مبلغا من المال كحق له عن هذه الطبعة .. ويومها استدعانى ذلك المدير ليسلمنى شيكا بثلثمائة جنيه وطلب منى تسليمه للعقاد مع خطاب شكر له عن جهوده مع تلك المؤسسة .. وطوال الطريق كنت ابتسم فى سر وهدوء ، لان الرجل العملاق جاءته تلك القيمة فى موعدها ودون انتظار . وبعد أن قابلته عصر ذلك اليوم وقصصت عليه قصة ذلك الشيك صمت ـ رحمه الله ـ بعض الوقت . وقام الى اوراقه الخاصة يستخرج منها عقد ذلك الكتاب ، ليرى بنفسه قيمة حقه المالى فى اعادة طبعته ، ويومها وجد انه قد باع حقوق الكتاب جميعها لتلك المؤسسة ، فمن ثم لا يحق له ان يتقاضى ذلك المبلغ ، وطلب منى أن أعيده شاكرا لتلك المؤسسة نيابة عنه .

وهناك سؤال يتبادر الى الاذهان : أليس ذلك التقدير من تلك المؤسسة جدير به العقاد وان لم ينص عليه فى عقد التاليف !!

وجوابنا على ذلك السؤال انه أقل تقدير لكاتب مثل العقاد ، تقوم به تلك المؤسسة ولكن العقاد من معدن عجيب فى بنى الانسان . عاش طوال حياته للحق مؤمنا به حتى فى ساعات الضيق التى مرت به أثناء المحاربات السياسية لقلمه فى ابان معاركه مع الحزبية البغيضة .

وحدث مرة ان جاءه احد سائقى التاكسى بمصر الجديدة ومعه « حجة » بيت يملكه ليسلمها له نظير مبلغ من المال كان لازما له ليقوم بتجديد رخصة سيارته . فاعطاه العقاد ـ رحمة الله ـ القيمة التى طلبها ورد اليه تلك الوثيقة التى هى منه أعز ما يعتز به ذلك الانسان . وبعد شهور قليلة زاره ذلك السائق ليعتذر له عن تاخيره فى سداد دينه ويومها ضحك العقاد وقال له : مين قال لك اننى منتظر ذلك الدين !؟ وقال له أيضا : أنا لا اطلب منك ارجاعه لى ، واعتبره هدية منى لك ولاولادك الصغار .

وما دمنا نتحدث عن بعض مواقف العقاد الخالدة فجدير بنا أن نقص موقفه ذات يوم من هذه « المجلة » الغراء فى ابان نشاتها ، فقد كان يخصها بمعظم ابحاثه ومقالاته فى الادب والنقد الى جوار غيرها من الصحف والمجلات التى قلما خلت صفحاتها من مقال العقاد ، فى تلك الفترة تعاقدت معه « أخبار اليوم » على الكتابة فى صحفها دون غيرها لمدة سنوات . ولكن العقاد يومذاك اشترط عليهم استثناء مجلة واحدة هى **« الرسالة »** دون سواها مع أن المكافاة التى كان يتقاضاها منها فى ذلك الحين هى بضع جنيهات تتقاضى نحن تلاميذ تلاميذه الآن مايساويها بل يزيد عنها قليلا .

وغير ذلك الكثير من المواقف الخالدة فى حياته .. وهكذا كان العقاد انسانا بمعنى الكلمة .. عاش محبا للانسانية ، يهزه الضعف الانسانى مثلما تهزه كوارث الزمن واحداثه . وتهزه قسوة الانسان على أخيه الانسان ويؤلمه القدر القاسى على بنى الانسان فى مختلف العصور والازمان فكان اشبه بمن عناه المتنبى بقوله :

وهكذا كنت فى أهلى وفى وطنى
ان النفيس غريب حيثما كانا

وجدير بنا ، نحن ابناء هذا الشرق العربى الاسلامى الذى اهدى العقاد لنا منذ مطالع هذا القرن ، الا نكتفى باحياء ذكراه مرة أو مرات فى السنة ، بل نستمتع معا بالأدب الثمين الذى تركه لنا وللعالم الاسلامى فى كل لحظة وكل آن ... وليس هذا بكثير منا على مفكر مثله عاش للفكر . وبالقلم شق طريقه وما أصعبه من طريق !!

وسلام يومئذ على ذلك العملاق الذى تضم رفاته الآن رمال أسوان منذ عام .. وستمر الأعوام والعقاد أبدا قمة خالدة .

« عامر العقاد »

العقاد ومكانه فى الدفاع عن الاسلام

بقلم: محمد عبدالله السمان

ان مكان العقاد فى مجال الفكر الاسلامى ، لا يقوى انسان ـ كائنا من كان ـ على انكاره ، أو تجاهله، أو الغمط من قدره ، أو التهوين من شأنه ، ولو لم يقدر للعقاد أن يتجه الى الاسلام فى الخمسة عشر عاما الاخيرة من عمره ، لظلت عبقريات محمد ـ صلوات الله عليه ـ والصديق عمر وعلى وخالد مودعة فى ضيات التاريخ الى ما شاء الله ، ولظل المثقفون من المسلمين مقتنعين بما استوعبته كتب السيرة والتاريخ من قصص وروايات عن أولئك العباقرة ، جافة كما وردت ، متحفظة كما رويت ، وكان دور العقاد على جانب كبير من الاهمية ، لأنه بعث الحياة من جديد فيما ثبت لديه من تلك القصص والروايات ، واستوحى منه جوانب العظمة فى الاسلام وبعض ابطاله وعظمائه الأول .

ولو لم يقدر للعقاد أيضا ، أن يتجه الى الاسلام فى الخمسة عشر عاما الاخيرة من عمره ، لظل الاسلام فى أشد الحاجة الى مفكر كالعقاد ، وقلم كقلمه يذود عنه أباطيل خصومه ، ويدحض شبهات أعدائه والحاقدين عليه ..

❋ ❋ ❋

ولا أقصد أولا ، أن العقاد وحده كان يحمل الراية لاجتذاب المثقفين الى الاسلام ، وبث بذور الاهتمام به فى عقولهم وقلوبهم معا ..

فالمرحوم الدكتور محمد حسين هيكل فى مؤلفاته : حياة محمد ، وفى منزل الوحى ، وحياتى أبى بكر وعمر، والمرحوم الدكتور أحمد أمين فى مؤلفاته : فجر الاسلام وضحى الاسلام وظهر الاسلام ، ويوم الاسلام وغيرها هذان العلمان قد أسهما اسهاما كبيرا فى لفت انظار المثقفين الى الاسلام ، ولكن عنايتهما كانت أكبر ، بالتحقيق التاريخى لازالة الشبهات التى استغلها البعض للنيل من الاسلام، والتى يسر الحصول عليها كتب السيرة ، وغيرها من المؤلفات التى لعبت فيها العاطفة الدينية دورا خطيرا .

والمرحوم مصطفى صادق الرافعى ، واستاذنا الزيات أمد الله فى حياته ، اسهما ايضا بنصيب وافر ـ بما كتبا فى الرسالة وغيرها عن الاسلام ـ فى تجلية معانى الاسلام الحية ، وابراز قيمه العظيمة ، وكانا أن أمدا الأدب العربى بصورة مشرقة عن الاسلام ، وبلوحات ناطقة عن أخطر جوانبه فى الحياة .

وفى ايجاز أقول : ان أحمد أمين وهيكل أديا واجبهما نحو الاسلام فى مجال التحقيق التاريخى ، وان الرافعى والزيات قد أديا ضريبة الاسلام عليهما فى مجال الادب العربى ، وفى كلا المجالين أنصف الجميع الاسلام مجردين عن العاطفة التى تختفى الحقيقة تحت جناحيها ، ومتحررين من التعصب الذى يتعثر التفكير الحر بين قدميه ومتسامين عن التزمت الذى لا يعبأ بحقيقة ولا يجيد التعامل مع فكر حر .

أما دور العقاد فى هذا الصدد ، فقد افاض فى مجالى التحقيق التاريخى ، والأدب العربى ، الا أن له منهجا يكاد يكون منفردا به ، فهو حيال قضايا الاسلام أشبه بالعالم الكيميائى الذى يعتمد على نتائج التحليل ، والعالم الرياضى الذى يعتمد على مقايسات لا تحتمل مناقشة ، والعالم الفيلسوف الذى يعتمد على مسلمات المنطق ، والمقارنة الدقيقة القائمة على الاقناع بعد ذلك ، أساس ثابت لدى العقاد حين يكيف قضية من قضايا الاسلام ، أو حين يعالج أمرا من أموره .

ولا أقصد ثانيا : أن العقاد وحده قد حمل الراية للدفاع عن الاسلام ، فقد سبقه **الامام : محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا** ، وقد كانت مجلتا العروة الوثقى والمنار ميدانا فسيحا للذب عن الاسلام وقضاياه وشعوبه ، وقد ظلت المنار أكثر من ربع قرن تتولى الدفاع عن الاسلام ودحض شبهاته ، ورد كيد أعدائه ، ولم يزل كثير من الكتاب الاسلاميين يشهرون أقلامهم للدفاع عن الاسلام ، ولكن جهاد الامام وتلميذه ، استنفد النصيب الاكبر منه تخليص العقائد مما شابها من شوائب ، وتخليص العقليات مما أصابها من تزمت وركود ، واستنفد النصيب الأصغر من جهادهما الرد على بعض كتابات المستشرقين عن الاسلام ، التي بلغتهما ، وقد ضم جميع ردود الامام في هذا المضمار كتاب صغير هو : « الاسلام والرد على منتقديه » أما الكتاب الاسلاميون المعاصرون الدائبون على الدفاع عن الاسلام ، فان معظم كتاباتهم يعتورها القصور ، لأنها تعالج القضايا من شكلياتها لا من جذورها ، وفي سرعة وعجلة ، لا بطاقة كبرى من الدرس والأناة والصبر ، وكان مقياس العلم هو الكتابة وليس القراءة .

أما دور العقاد في مجال الدفاع عن الاسلام ، فيتخذ طريقا آخر ، يكاد يكون منفردا به أيضا فمؤلفاته التي ترجم فيها عن كثير من الشخصيات الاسلامية ، لم تكن وحسب ، تحليلا دقيقا لها لابراز جوانب العظمة فيها ، بقدر ما كانت دفاعا عن الاسلام وقضاياه ، وأوضح مثل : كتابه عن بلال، فقد أثار فيه قضيتي العنصرية والرق ، وموقف الاسلام منهما ، ومؤلفاته الأخرى أيضا ، وأوضح مثال منها كتابه ، الاسلام في القرن العشرين ، حيث تعرض لموقف الاسلام من قضايا العالم المعاصر ومشكلاته .

ومن أوضح ما تميز به العقاد ، متابعة ما يكتب عن الاسلام في الغرب والشرق ، فلم يكن ينتظر في عقر داره حتى يبعث اليه القدر بكتاب تناول الاسلام بالخير أو بالشر ، حتى يتهيأ لمناقشته ، وانما كانت له صلات بمعظم دور النشر في العالم المتحضر وغير المتحضر ، تمده بكل جديد ، وهذا ما لم يتوافر لكاتب غير العقاد .

وقد ظهر له كتابان جديران بالاشارة :

١ ـ « **حقائق الاسلام وأباطيل خصومه** » أصدره المؤتمر الاسلامي بالقاهرة عام ١٩٥٧ م .

٢ ـ « **ما يقال عن الاسلام** » أصدرته دار العروبة بالقاهرة عام ١٩٦٤ وهو مجموعة من المقالات كتبها تباعا في مجلة الازهر منذ أن تولى رياسة تحريرها أستاذنا الزيات ، وفتح له هذا الباب ، فأسدى خدمة لا لمجلة الأزهر وحسب ، ولكن للأزهر والاسلام معا .

وعلى ضوء هذين الكتابين ، يتضح مكان العقاد في موقف الدفاع عن الاسلام ، وأن هذا المكان لم يزل شاغرا ، وأخشى ما أخشاه الا يوجد بعده من يشغله ، وهذا ما سيتناوله المقال التالي ان شاء الله.

يتبع ـ « محمد عبد الله السمان »

تربصي

للشاعر عباس محمود العقاد

اذا احتواك قفصي
سرى الفتور في جناحيك وان لم تنقصي
وغرد الطير وضاعت في الفناء فرصي
وخفت في سجنك الا ترقصي
وان ملكت الأفقا
حيرني رحب الفضاء مهبطا ومرتقى
واوشك الصدر لفرط الضيق الا يخفقا
وطار في اثرك لبي قلقا
تربصي تربصي
ما حيلتي ؟ ما مهربي ؟ ما مخلصي !
الموت قناص الابابيل وحلال العصى
يقنصني ويحك ان لم تقنصي

من ديوان « مابعد البعد » تحت الطبع

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

الأدب والوحدة
فى مؤتمر الأدباء العرب

ظفر موضوع الأدب والوحدة فى مؤتمر الأدباء العرب بثلاثة أبحاث،عالجه كل منها من ناحية مختلفة عن أخرى ، فجاءت الثلاثة بمثابة موضوع متكامل •

كان البحث الأول « **الأدب والوحـدة العربية** » **للدكتورة سهير القلماوى** ، وقد تناولت الموضوع من الناحية التاريخية ، وبدأت من حيث احتكاك العروبة بالخلافة العثمانية ، فقالت ان العرب فى أول الأمر نظروا الى آل عثمان على أنهم مثلهم مسلمون ، وتداخل الدين فى مفهوم العروبة • فلما انحرف الحكم التركى عن الاسلام ، واستبد وبطش ، وترك بلاد المسلمين نهبا لقوى الاستعمار الغازية ، تنبه العرب على الخطر المحيق بهم فبدءوا عملية التجمع ، ولم يفرق هذا التجمع بين مسلم وغير مسلم •

على أن الأمر لم يكن فى المجال الفكرى والعقائدى خالصا متفقـا عليه ، بل اختلفت الآراء واختلطت الأفكار ، وأحيطت القومية العربية بظلام كثيف •

وكان من نتيجة ذلك أن الدين أخر ميلاد القومية العربية قرنا أو يزيد •

وأثارت هـذه العبارة مناقشة حامية فى قاعة المؤتمر •• اذ وقف أحد الأعضاء بعد انتهاء المحاضرة، وتساءل فى استنكار : **كيف يكون الدين معوقا للقومية العربية؟** وحسمت الدكتورة الأمر برد موفق، اذ قالت : **ان الدين نفسه لم يكن معوقا ، ولم أقل هـذا ، انما تعلق العرب بالخلافة العثمانية بدافع العاطفة الدينية واختلافهم فى شأن هذه الخلافة زمنا طويلا ، هو الذى أخر ميلاد القومية العربية •**

والواقع أن تعبيرات الدكتورة سهير القلماوى فى بحثها كان يظهر عليها أن البحث أعد فى عجلة ، فلم يمهلها الوقت لكى تدقق فيها • وقد أثار ذلك عليها عدة أسئلة واعتراضات ، ولكنها وفقت فى الردود بلباقة أخرجتها من المأزق •

وقد علق على ذلك أحد الأعضاء ــ فى الصحيفة القومية التى كانت تصدر خاصة بالمؤتمر ــ فقال : **ان الدكتورة سهير كانت رائعة فى ردودها ومناقشتها أكثر منها فى البحث •**

والواقع أن الموضوع كانت تغلب عليه المسحـة التاريخية والتحليل السياسى ، وأن الأدب جاء على الهامش ، اذ كانت تعقب على الأحداث بمثل قولها :

« **وكان الأدب والشعر خاصة أصدق رؤية وأوضح نظرة من حيث مايجمع العرب ويجعلهم أمة فريدة هى خير أمة أخرجت للناس ، خيرها فى أنها أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر** » •

الى آخر كلام مماثل ليس له محصول من الناحية الأدبية •

حتى عنـدما قالت ان مرحلة الأدب القـومى فى مقاومة آل عثمان وابان الحرب العالمية الأولى تتسم بخصائص فنية وموضوعية واضحة ، بينما مرحلة الأدب القومى فى مقاومة الاستعمار منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى الى فجر التحرير والوحدة تمتـاز بدورها بخصائص أخرى فنية وموضوعية مغايرة • وقالت : وسنقف ببعض هذه الخصائص لأننا لانملك فى هذه العجالة أكثر من مجرد الوقوف وبالبعض • **حتى عندما قالت ذلك لم تقف الوقفة التى وعدت بها ، وكل ماذكرته من الخصائص كان عن اللغـة والتاريخ من حيث ان العرب يتكلمون لغـة واحـدة**

ولهم تاريخ واحد.وهذا كلام عام لايعد من الخصائص الفنية ولا يميز مرحلة عن أخرى .

وأخذ الاستاذ **عبدالرازق البصير** (الكويت) وجهة أخرى فى بحث الموضوع ، قامت على اعتبار المؤلفات الفكرية التى تسلك سبيل البرهنة والاستدلال من الأدب . وهو اعتبار لا أقول انه خطأ ، بل ان فيه تجوزا ، فاننا نصنف هـذه المؤلفات عادة فى باب السياسة ، ولا نعدها من التأليف الأدبى لأنها تعتمد على العقل والمنطق ، والأدب يعتمد فى الدرجة الأولى ــ كما يعبر الاخوة فى العراق ــ على الصور المؤثرة فى المشاعر .

تساءل الاستاذ البصير : كيف تمكن اعداء الأمة العربية من انتهاك حقوقها وهدر كرامتها واغتصاب قطع عزيزة من بلادها ؟ وأجاب بانه جواب واحد على ذلك ، هو : « **التجزئة العميقة التى صورت لبعضنا اننا شعوب مختلفة أشد الاختلاف مما يجعل وحدتنا من الامور التى تكتنفها العقبات حتى كادت أن تصبح من الأمور المحالة** » .

ثم تساءل : أين يقف الأدب من الصراع بين الأمة العربية وأعدائها ؟ وأجاب بانه جواب واحد على ذلك . هو « **التجزئة العميقة التى صورت لبعضنا أننا شعوب مختلفة أشد الاختلاف مما يجعل وحدتنا من الأمور التى تكتنفها العقبات حتى كادت أن تصبح من الامور المحالة » . ثم تساءل : اين يقف الأدب من الصراع بين الامة العربية واعدائها ؟ وأجاب قائلا:** من الملاحظ أن كتابنا قد رأوا من الأجدى لقضيتنا أن يسلكوا سبيل التوضيح والنقاش فى كتاباتهم لما يعرفونه من أن التجزئة قد أخذت طريقها الى الناس فى كثير من العمق . وحرر قوله بانه لايعنى أن الأدباء لم يقولوا شيئا فى الدعوة الى الوحدة والتشويق اليها . وانما يعنى أن معظم الجهد الفكرى قد سلك طريق المناقشة العقلية .

وركز الأستاذ على أهمية هذا المسلك فى دحض لأفكار الشعوبية واثبات حتمية الوحدة . ثم عرج على الشعر فأورد بعض ماقيل عنه فى التعبير عما يجيش فى ضمير الانسان العربى فى مختلف المناسبات والأحداث .

أما الأستاذ **محمد خلف الله أحمد** (مدير معهد الدراسات العربية العالية الآن ووكيل جامعة عين شمس سابقا) فقد واجه الموضوع مواجهة فنية مباشرة . بناها على أربع نقط . الأولى أن الأدب الحق هو ما كان فيض الاحساس الصادق والتجربة العميقة ، والثانية أن الأديب مواطن لا يتخلف عن الصفوف حين تخوض أمته معركة من معاركها الشاملة الحاسمة . **والثالثة أن الأديب العربى ارتبط بحياة مجتمعه خلال العصور الماضية ، والرابعة أن الأدباء العرب قاموا بدورهم فى كفاح أمتهم منذ بدء النهضة العربية الحديثة، وعلى الأخص بعد قيام ثورات التحرير العربية .**

وفى بيان دقيق نظر الاستاذ خلف الله الى تطور الفكرة الادبية الملتزمة منذ نشأ النقاش بين أدباء الغرب حول مهمة الاديب ،وهل هو يعبر تعبيرا جميلا بصرف النظر عن أثر هذا التعبير فى مجتمعه ، أو أن مهمة الاديب أن يبلغ الناس من حوله ما يحس به نحو اهتمامات المجتمع .

ثم قال ان القرن الحاضر جلب معه ظاهرة أصبح لها تأثيرها على تحويل مجرى النقاش فى طبيعة الادب ووظيفته وجهة جديدة ، **وذلك أن التطور الحديث فى النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية عمل على توثيق الصلة بين الفرد والمجموع** ، وعلى ضرورة أن يقوم كل مواطن ــ حسب تخصصه وقدراته ــ بنصيب فى الجهود الجماعى المشترك ، ومن هنا برزت أهمية الاديب بصفة كونه مواطنا يملك أداة ذات قيمة وفاعلية كبيرة فى اصلاح حياة الجماعة ، وفى زيادة رصيدها من الثروة الروحية والنفسية ، فى معالجة قضاياها الكبرى ، والتوعية بفلسفتها فى الحياة ، وفى تعبئة قواها لتحقيق أهدافها التى تتطلب صراعا ونضالا . ولم تعد المجتمعات تستسيغ السلبية أو الأنانية الفردية أو الانعزالية من جانب الأديب أو الفنان .

وكان بحث الاستاذ خلف الله هذا ، من البحوث القيمة التى اكتفى بطبعها وتوزيعها فى المؤتمر ، ولم تلق وتناقش فى الاجتماعات العامة .

وقد كان سبب ذلك ضرورة التنسيق بين الوفود الممثلة للدول العربية بحيث تمثل كلها فى أوجه النشاط بالمؤتمر بطريقة موزعة شاملة . وكان هناك دخل فى ذلك لوصول بعض الاعضاء ــ الذين أعدوا بحوثا ــ متأخرين عن بدء المؤتمر واعداد البرنامج .

وفى العدد القادم ــ ان شاء الله نتناول موضوع « الغزو الفكرى » فى مؤتمر الأدباء العرب .

● ظفرت أخيرا بنسختي من المجموعة القصصية التي أصدرها أخيرا الاستاذ **نجيب محفوظ** باسم « **بيت سيء السمعة** » • **وذلك بعد ان ضن على بها « البريد » اذ اعادها الى المؤلف لان « المذكور لا يوجد بهذا العنوان »** •

قرأت بعض قصص المجموعة ، فبعثت فى نفسى الحنين الى استئناف كتابة القصة القصيرة التى شغلت **عنها فى السنتين الأخيرتين بدراسات وكتابات أخرى، وخير الفن ما يثير الشهية والرغبة فى انتاج مثله •**

والمشاغل تشدنى اليها ، فاضطر الى تأجيل اتمام القراءة ، على عزيمة أن أعود اليها فيما بعد •

وعبارة «المذكور لا يوجد بهذا العنوان» يخطر لى بازائها ما يقال من أن القصة القصيرة عندنا الآن فى أزمة •• فكلا القولين يصدر على ما يبدو لى ـ عن كسل وتهاون •• الاول لا يريد أن يتعب نفسه بالبحث عن « **المذكور** » •• والقائل الثانى لا يريد أن يقرأ ويستقرىء ، ولا يريد أن يسكت ••

لا ينبغى أن يتخذ ما ينشر من الردىء ذريعة الى **الحكم على الجيد بالعدم •• وفى كل مكان وزمان يوجد هذا وذاك • والتاريخ ينخل !**

● ذهب أحد الادباء من عندنا الى مؤتمر الادباء العرب ببغداد ، وعاد ، صامتا فى الذهاب والاياب والاقامة •• وأخيرا نطق فى احدى المجلات •• يقول ان المؤتمر كان « سلفيـــا » قصر همه على التراث **واغلق النوافذ وتقوقع ، ولم يختط للمستقبل !**

والواقع أن المؤتمر اهتم بالتراث فعلا ، وما كان ينبغى الا أن يفعل ، ولكنه اهتم الى جانب ذلك بالبناء وبالمستقبل ، وتوصياته تعكس هذا الاهتمام ، وقد نشرت فى هذا المكان بالعددين الماضيين جانبا منها •

● استهل المؤتمر توصياته بقوله :

« يرى المؤتمر أن تظل جهودنا الادبية فى هذه الحقبة الثورية من حياتنا الحاضرة تابعة بالدرجة الاولى من وعى عميق بتراث الامة العربية وقيمها ، حتى تظل لها شخصيتها المستقلة المتميزة ، التى تعينها على مواصلة أدائها لرسالتها الانسانية والحضارية •

كما يرى المؤتمر الا غناء لادبنا فى نهضته الحديثة عن الافادة من جميع التجارب الانسانية فى مضمار الادب والفن ، فيفتح لها نوافذه (سامع ؟!) لياخذ منها ما يثريه وما يساعده على تاصيل ذاته »

يظهر أن كلمة « **التراث** » تقف شجى فى حلق بعض الناس عندنا •• « **شنشنة اعرفها من اخزم** » وهذا مثل من تراثنا العربى لا أظنه يعجب «أخزم»!

● كان الدكتور **محمد مندور** قد حضر الى ادارة الرسالة ، على أثر ما كتبته عن علاقته بمجلة **حوار** الصهيونية ، وقال **انه سيتحدانى ويكتب فى حوار !**

وقد كان •• اذ نشرت «حوار» فى عددها الاخير مقالا للدكتور مندور عن اللغة العامية ••

ويطيب لى أن أستعمل هنا بعض تعبيرات الفقه الاسلامى ـ وهو من التراث العربى الذى لا يعجب السيد أخزم ـ فأقول ان التحدى ينقسم الى قسمين: الاول تحد بنائى كالذى يصنعه الشعب العربى الآن أمام الاستعمار ، والثانى تحد غير بنائى كالذى فعله الأخ مندور فى العدد الأخير من مجلة حوار •• **ربنا يهديه !**

● « عودة الفراشة » مجموعة قصص قصيرة للاديب الشاب **سيد عويس** ، كتبها باسلوب عربى جيد ، واتجه فيها اتجاها انسانيا شاعرا رقيقا •

● **الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين** عضو جمعية المؤلفين والكتاب العراقية ، يعد بحثا عن المرحوم « اسماعيل أحمد أدهم » أحد كتاب الرسالة الأوائل ، وهو يرجو من الزملاء بالجمهورية العربية المتحدة الذين كان لهم صلة بالفقيد أن يكتبوا اليه ويدلوه على المصادر المتصلة به • عنوان الأخ وحيد الدين : جمعية المؤلفين والكتاب ـ الأعظمية ببغداد •

● كان الدكتور زكى مبارك صادق النبوءة حين كتب فى كتابه « ليلى المريضة فى العراق » منذ ٢٦ سنة يقول :

«اسمعى ياليل • ان أهل بلدكم يقولون ان زكى مبارك لا يزال يحافظ على مصريته ، وهذا حق ولكننى أتشبث بمصر فى سبيل اللغـــة العربيـــة ، فاللغة العربية هى الرباط الوثيق الذى سيكون فى المستقبل أساس ماسيعرف الشرق العربى من قوة البنيان » •

عباس خضر



كيف يُعد البن الأخضر بعد جمعه من الأشجار

بقلم : نبيلة محمد عطية الأبراشى

- ٢ -

يقطف البن عادة بقشوره من الأشجار . ولازالة تلك القشور واستخلاص حبوب البن الأخضر منها طريقتان :

الطريقة الاولى هى : التجفيف ، بان يضع الزارع المحصول على الحصر فى الشمس عدة اسابيع ، او فى مكان به هواء ساخن ، حتى تجف القشور الخارجية وتتشقق ، ثم توضع الثمار فى طاحونة خشبية لتقشيرها ونزع القشور التى تغطيها ، ثم تذرى فى الهواء لتكون القشور فى ناحية ، والحبوب فى ناحية اخرى . وحينئذ تغسل حبوب البن بالماء حتى تصير نظيفة ثم تترك حتى تجف ، وتسمى البن المجفف .

الطريقة الثانية : هى طريقة البل ، وتحتاج الى كثير من الماء بالقرب من المزرعة . بان يوضع المحصول فى احواض كبيرة خاصة مبطنة بالملاط (الاسمنت) ، مملوءة بالماء ، فتتخمر الثمار ويكسبها التخمر جمالا فى الطعم والرائحة .

وبعد اخراجها من الاحواض يسلط عليها هواء ساخن الى ، فتشقق القشور الخارجية ، ثم تنقل الى آلة خاصة لتقشيرها ، ونزع القشور الخارجية السميكة ، والقشور الفضية الداخلية منها . وبالة اخرى يهب عليها هواء متحرك فيذرى جميع القشور ، وتجعل القشور فى ناحية ، والحبوب فى ناحية اخرى .

وهناك الات بها غرابيل ذات عيون وفتحات مختلفة السعة . فتغربل الحبوب ويجعل كل نوع من البن على حدة ، فيكون البن السليم وحده ، والمكسور والتالف وحده . والحبوب الكبيرة فى جهة ، والصغيرة فى جهة اخرى .

وتسمى هذه العملية عملية ترتيب البن وفيها يجعل البن فى درجات ، وتوضع كل درجة وحدها . وتعد عملية الترتيب هامة جدا فى اعداد البن وتجهيزه .

ومن الواجب ان يكون حجم البن واحدا سواء اكان كبيرا ام صغيرا ، حتى اذا قلى كانت درجة القلى واحدة . اما اذا اختلط بعضه ببعض ، واختلف حجمه ، وكان بعضه صغيرا ، وبعضه كبيرا لم يمكن قليه بدرجة واحدة .

وبعد ان يجعل كل نوع من البن وحده فى كومة ، يمكن تعبئته فى اكياس . ويسمى هذا « البن الأخضر » .

وتنظف حبوب البن الأخضر مرتين : الاولى حينما يغسل البن ويجفف . والثانية حينما يغربل بالغرابيل بعد تجفيفه ، او يوضع فى انابيب عمودية لتنظيفه وتنقيته من المواد الغريبة العالقة به ، ويسلط الهواء المتحرك على الأنابيب من الثلث الأسفل منها ، فيطرد الهواء التراب والغبار والخيوط والريش والاوراق وغيرها — الى اعلى الانابيب فتخرج منها . ثم يغربل البن بالايدى او بالآلات لتنظيفه من المواد الغريبة الثقيلة كالحجارة والحصى والمسامير ، حتى يكون نظيفا جدا ، خاليا من كل شىء .

كيف يخزن البن ؟

ان البن الأخضر لا يصح خزنه فى الجهات الحارة الرطبة التى يزرع بها ، خوفا من فساد طعمه ورائحته الجميلة . ولهذا يصدره المزارعون المنتجون له فى الحال بعد الانتهاء من تذريته ، وينقلونه الى الموانى لتصديره فى البواخر التجارية الى الجهات التى تحتاج اليه وتستورده .

والمعادن تتلف البن الاخضر ، ولهذا يلاحظ عند نقله الى البواخر الا يمس البن اى شىء مصنوع من المعدن ، وان تكون هناك تهوية كثيرة بالات خاصة بين الاكياس المملوءة بالبن الاخضر ، كى لا يعرق البن ، فيفسد طعمه . وهذا هو السبب فى تعبئته فى اكياس او مقاطف ذات فتحات تسمح بالتهوية الكثيرة ، ووضع آلات التهوية بين الأكياس (الأجولة) .

ماذا يفعل فى معمل البن ؟

تنقل السفن التجارية البن الى المعمل . وهناك يبدا الباحثون فى عمل اختبارات لفحصه ، فياخذون ست اوقيات وينظفونها لقليها فى المقلاة وطحنها ، وعمل قهوة منها ، وشربها للحكم على طعمها ورائحتها . ويثبتون مايلحظونه من التغيرات ، فيقولون مثلا ان البن حينما يقلى تكبر حبوبه (تنتفش) ويصير لونها بنيا فاتحا ثم بنيا مائلا الى السواد ، وتكون رائحته قوية جميلة ، ويخف وزن البن المقلى عن وزن البن الاخضر . ويثبتون بالدقائق المدة التى يحتاجون اليها فى قلى البن ، ثم يطحنون البن ، ويعملون منه قهوة بالطريقة الآتية :

وهى : غلى الماء ، ثم وضع البن فوق الماء المغلى ، ثم شم رائحة القهوة ، ثم تذوق طعمها . وبهذه الوسيلة يمكنهم ان يحكموا

حكما دقيقا على نوع البن ، وطعمه ، ورائحته ومقدار جودته ، ويذكروا ما فيه من عيوب ان وجدت عيوب ، ويبينوا لمدير المصنع عدد الدقائق التى احتاج اليها البن فى قليه ، ويعرفوا كيف يخلطون هذه الأكياس من البن بأكياس اخرى ، والنسبة التى يخلطونه بها ، وعدد الأكياس التى تؤخذ من كل مجموعة لتخلط مع الأكياس التى فى التعبئة الأخرى ، والمقدار الذى يضاف من كل نوع من البن الى النوع الآخر ، كى يتأكدوا ان يكون طعم البن لذيذا ، ورائحته جميلة . وتسمى هذه العملية عملية خلط البن بعضه ببعض . وهناك آلات خاصة بخلطه .

وبعد الانتهاء من تجربة البن وفحصه وخلط الأخضر المعبأ فى الأكياس ، ينظف البن من الأشياء الغريبة التى فيه بآلات خاصة تنشره ، وتنقله بدقة وعناية فى انابيب عمودية يسلط عليهـا هواء متحرك الى اعلى ، فيطرد الهواء المواد الغريبة الخفيفة العالقة به الى اعلى كالغبار ، والورق والخيوط والريش . ويسـقط فى قاع الانبوبة من اسفل ـ الحبوب الثقيلة ، والحصى والحجـارة والمسامير ، وينظف البن من جميع الأشياء الغريبة التى فيه ، حتى تنتهى عملية التنظيف ، كما قلنا من قبل .

وحينما ينتهى فحص البن واختباره ، وخلط بعضه ببعض ، وتنظيفه من المواد الغريبة يعبأ فى اكياس بالمصنع ، ويوضـع فى المخزن ، ويعد للبيع .

وهناك آلات كثيرة خاصة بقلى البن ، منها الرخيص والغالى . وفى استطاعة العامل الواحد فى المصنع ان يشتغل على اربع مقليات او اربعة افران لقلى البن ، ولديه ملعقة طويلة اليد يقلب بهـا البن . ويكون طعم البن لذيذا حينما يقلى فى وقت قصير ، على اقل حرارة ممكنة .

وان العامل المختص بقلى البن فى المصنع الذى قلاه مرات كثيرة من قبل ، واشتغل فى هذا العمل عدة سنوات ، وكسب خبرة كبيرة فى قليه ، يعـرف متى يتم قليه ، ومتى يطفىء نار المقلاة او الفرن ، ومتى يخرج البن منهما .

ويضع العامل البن على (صينية) ، وينشره عليها ، ويقلبه بسرعة بشوكة كبيرة معدنية ، حتى يبرد .

وهناك آلة لتبريد البن يخرج منها هواء بارد قوى يسلط على البن ، ويهب فوقه ليبرد بسرعة .

ويلاحظ ان البن المقلى اخـف وزنا من البن الأخضـر .

كيف يطحن البن ؟ وكيف يحفظ فى البيت ؟

ان الناس الذين يشترون البن لعمل القهـوة يختلفون فى امزجتهم وميولهم ، فمنهم من يحبون شراء البن الأخضر من البدال ، وقليه وطحنه فى البيت على حسب رغبتهم . ومنهم من يشترونه مطحونا جاهزا معدا لعمل القهوة منه مباشرة ، وهم قليلون عندنا ، كثيرون فى اوربة والولايات المتحدة الأمريكية .

وهناك آلات متنوعة لطحن البن ، ففى حوانيت (دكاكين) البن تجد آلة كبيرة دائرة باستمرار لطحن البن المقلى . وفى البيوت طاحونات صغيرة تدار باليد لطحنه . وبعض الناس الذين يقلونه ويطحنونه فى بيوتهم يضعون عليه قليلا من (حب الهان) ، لتكون رائحته جميلة .

وان ترك البن معرضا للهواء بعد طحنه يتلفه . ولهذا يوزن بعد طحنه مباشرة ، ويوضع فى صفائح صغيرة او آوان زجاجية سميكة غليظة ، ثم يغطى البن غطاء محكما ، كى لا يعرض للهواء، فتذهب رائحته ، ويصير طعمه رديئا . واحيانا يوضع البن المطحون فى اكياس صغيرة من الورق ، وتثنى حروفها ، فيمتص الورق المادة التى تكسبه لذة فى الطعم .

وكلما اراد العرب شرب القهوة قلوا البن ، وطحنوه فى مصحن من الفخار بعد قليه مباشرة ، وعملوا القهوة من البن الطازج فى الحال . ولذا تجد القهوة العربية لذيذة الطعم ، ذات رائحة جميلة، صافية نقية ، وهم يحبون شرب القهوة (السادة) الخـالية من السكر .

كيف تعمل القهوة ؟

هناك طرق مختلفة لعمل القهوة ، منها الطريقة العربية ، وقد ذكرناها فى آخر السؤال السابق ، ومنها الطريقة المصرية ، وهى: ان نغلى الماء فى اناء خاص بعمل القهوة (الكنكة) ، ثم نأتى بالبن المطحون ، ونضع منه قدرا يناسب ما نريده من الفناجين . فاذا اردنا فنجانا واحدا وضعنا من البن مقدارا يناسب الفنجان ، واذا اردنا فنجانين وضعنا ما يناسبهما ، وهكذا ، وحركنا البن بالملعقة فى الماء المغلى ، وابقينا (الكنكة) على نار هادئة حتى تعلو رغوة القهوة ، مرة او مرتين ، ثم نأخذ القهوة ونصبها فى الفناجين بوضع جزء من الرغـوة فى كل فنجان . ثم نكمل الفناجين .

وهذه هى القهوة المصرية التى تسمى (بالسادة) . وهى الخالية من السكر . واذا اراد احد القهوة بسكر قليل او كثير وضع المقدار المطلوب من السكر على الماء وهو يغلى قبل وضـع البن ، وتسمى قهوة بسكر .

والطريقة الانجليزية فى عمل القهوة ان يؤتى ببن مطحـون خشن غير ناعم . ثم يؤتى باناء يوضـع فيه مقدار الماء الذى نريده من الفناجين ، بشرط ان يكون نصفه من اللبن . ونصفه من الماء . ثم يغلى على النار . ونضع ملعقة صغيرة من البن الخشن لكل فنجان نريده . فاذا اردنا فنجانين من القهوة وضعنا ملعقتين من ذلك البن وهكذا . ونترك القهوة حتى تغلى ، فنأخذها ونصفيها بالمصفاة . ويوضع من السكر على كل فنجان مقدار قليل او كثير بحسب رغبة الشارب . وتسمى هذه قهوة بيضاء . وهى القهوة المخلوطة باللبن . واذا كان البن ناعما كالبن المصرى ، فاننـا لانحتاج فى عمل القهوة البيضاء الى تصفيتها بالمصفاة او بقطعـة من الشاش .

وهناك القهوة الفرنسية وهى القهوة السـوداء ، التى يغلى فيها الماء ، ثم يوضع عليه البن المطحون الناعم ، ثم تغلى القهـوة ، وهى قهوة خفيفة مرة خالية من السكر ، ويوضـع السكر لمن يريد .

ويختلف الناس فى نوع القهوة التى يشربونها . فمنهـم من يحبها ثقيلة ، ومنهم من يحبها خفيفة ، ومنهم من يفضلـها باللبن والسكر ، ومنهم من يطلبها خالية من اللبن والسكر .

لماذا يشرب الناس القهوة ؟

ان الناس يشربون القهوة اذا احسوا بشىء من التعب ، لأنها منعشة ، منبهة للأعصاب ، مجددة للنشاط . والسبب فى ذلك ان البن يحتوى على مادة تسمى (كافين) وهى مادة منبهة .

ويحب الكبار شربها لأنها لذيذة الطعم ، جميلة الرائحة . ويقبل عليها الطلبة اذا احسوا بالنعاس ، كى يستيقظوا ويتمكنوا من متابعة استذكار دروسهم . والقهوة باللبن مغـذية ، تصلح للكبار والصغار .

نبيلة محمد عطية الابراشى

الاتحاد الاشتراكي العربي
وعاء الديموقراطية

تأليف: محمود ستولي

بقلم تحسين عبد الحي



اتجهت جماهير الاتحاد الاشتراكي العربي يوم الاثنين الماضي الى صناديق الاقتراع لتجديد بيعتها لقائدها المناضل **جمال عبد الناصر** ..

وتؤمن جماهير شعبنا بأن تجديد بيعتها للمناضل جمال عبد الناصر يعني بالنسبة لها مزيدا من النضال الثوري الشجاع ضد قوى التخلف الداخلي ـ وضد كل أنواع الضغوط الخارجية التي بدأت بمهزلة القمح الامريكي في صورة مناقشات ومناورات سياسية ودعائية ضد جماهير شعبنا ـ واذا كانت مهزلة القمح الامريكي كخطة مدروسة من خطط الضغط التي يمارسها ضدنا المعسكر الاستعماري قد عبرت الاطلنطي لتستقر في بون التي تشكل الجناح الأوربي في خطط الاستعمار العالمي فان المناضل جمال عبد الناصر قد استطاع أن يشن هجومه السياسي الخاطف على طول الجبهة الألمانية ـ ليكسب لشعبنا جولة رائعة من جولاته النضالية الرائدة ..

ان جماهيرنا وهي تضع يدها في يد عبد الناصر القوية .. انما تعبر له عن ايمانها بانه القائد الشجاع الذي سوف يقودها الى طريق المستقبل الحافل بالانتصارات المتتالية على طول الجبهة الاستعمارية الصهيونية .. وكذلك على طول الجبهة العربية الوحدوية ـ ان المواطن العربي الفرد ـ وهو يسلم قيادته الى رجل العصر العظيم ـ جمال عبد الناصر ـ يعلم تماما أنه هو الذي أنهى بقوانينه الاشتراكية تقسيم المجتمع الى كادحين ومترفين ـ تلك القوانين التي أخفت الانفصال بين العمل الذهني والعمل اليدوي بحيث لم يصبح الأول وقفا على أقلية ولن يصبح الثاني قدرا رهيبا ولعنة على الغالبية العظمى من العمال ..

والمواطن العربي الذي رسف فترة طويلة في أغلال الاستعمار ووقع تحت ضغط الأجنبي الباغي سنين طوالا . هذا المواطن الذي ظل يعاني من الاستعمار التركي الى الاستعمار الانجليزي وفقد انسانيته تحت حكم أسرة محمد علي ـ هذا المواطن لم يشعر بنفسه يوما من الايام حين كان يجبر على منح صوته بالسوط لسيده وولي نعمته في الحقل أو المصنع أو الشركة ـ هذا المواطن الذي فقد اعتباره وانكر كيانه من اجل لقمة العيش ـ هذا المواطن الذي كان يعتبر خروج الانجليز كما لو كان أشبه بالوصول الى القمر حلما بعيد المنال . هذا المواطن الذي عاش أياما طوالا والدموع غذاؤه والخوف حياته .. هذا المواطن جاء له اليوم ليمنح كل ما فقده ـ أعاد اليه عبد الناصر انسانيته ـ وأعاد اليه كرامته وآدميته ... ويعلم المواطن العربي في الجمهورية العربية المتحدة انه يتحمل مسئولية انجاح ومبايعة المناضل عبد الناصر بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن كل مواطني الوطن العربي الكبير ـ بل ونيابة عن كل المهضومين والمغلوبين على أمرهم في العالم .. لكي يواصل رجل العصر العظيم وتحقيق مابدأه على طول الجبهة الوطنية ـ والقومية ـ والعالمية .. ونحن هنا لن نعدد هذا الرصيد الضخم من العمل السياسي والاقتصادي والاجتماعي للمناضل جمال عبدالناصر ولكننا سوف نعرض فقط لاحدى اعماله ومنجزاته الانسانية الرائدة ـ من الناحية التنظيمية وهو الاتحاد

الاشتراكى العربى - موضوع كتاب اليوم ..

وقد بدأت الحاجة الملحة لتنظيم سياسى كالاتحاد الاشتراكى العربى تفرض نفسها بعد صدور قوانين يوليو الاشتراكية .. اذ أنه لولاهذه القوانين ماكان لثورتنا أية قدرات على الحياة . فكثير من الثورات تفقد قدرتها على الاندفاع بين ذراعى تنفس « الواقع القديم » الذى بدأت بالثورة عليه - وثورات أخرى يكون نجاحها هو فى ذاته عدو استمرارها وانطلاقها الجديد .. اذ يكون هذا النجاح أشبه بالرمال الواسعة المسام التى تمتص ماء الثورة الهادر فيهدأ ويسكن ، وذلك كثورة عبدالكريم قاسم التى جمدت الوضع فى العراق الى حين قيام ثورة ١٤ رمضان.، ولقد كان مهما لثورتنا لتضمن استمرارها فى الحياة أن تحكم بمنطق العدل والمساواة حاملة على عاتقها كل المهمات التى يمكن أن تقع على مرمى الفكر والبصر. فكانت قوانين يوليو الاشتراكية وقد عبر عن ذلك المناضل جمال عبد الناصر بقوله :

« ان الحل الاشتراكى لمشكلة التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر وصولا ثوريا الى التقدم لم يكن افتراضا قائما على الانتقاء الاختيارى وانما كان الحل الاشتراكى حتمية تاريخية فرضها الواقع وفرضتها الآمال العريضة للجماهير كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم فى النصف الثانى من القرن العشرين » ويقول الكتاب عن الاشتراكية العربية فى صفحة « ٦٨ » .

اننا نؤمن بالاشتراكية على أساس أنها اشتراكية للرفاهية والثراء لا اشتراكية للفقر والجوع ، والاشتراكية العربية منبثقة من صميم حياتنا وتاريخنا وثقافتنا وتراثنا الدينى والروحى فهى وليدة المجتمع العربى ذاته .

ان الاشتراكية ليست ديننا كما يعتقد البعض نحن اذا كنا نؤمن بالاشتراكية فاننا نؤمن بها لا بوصفها دينا جديدا ولكننا نؤمن بها بوصفها نظاما اجتماعيا واقتصاديا يستمد أصوله من الأديان السماوية .. ومن ثم فان الذين ينادون بأن نطبق الماركسية فى بلادنا هم ضحايا المراهقة السياسية والكسل العقلى والتبعية النفسية . ص ٦٦ ، ٦٧ . ويقول الميثاق الوطنى ..

« ان رسالات السماوات كلها فى جوهرها انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته » .

فالدين فى نظرنا هو صمام ضد التقهقر ودافع للتقدم هو وسيلة ضد التعصب وحافز على النهضة فى كل مجالات حياتنا .. ويتضح جليا بذلك أن الاشتراكية العربية تختلف عن غيرها من الاشتراكيات التى ترتبط بولاء دولى وتسير وفقا لمبدأ اللاقومية واللادينية . ومن ثم تعتبر الاشتراكية العربية ثورة جديدة فى العلاقات الانسانية وثورة جديدة لخلق المواطن العربى المتحرر الذى يعرف واجباته ويعرف حقوقه ويؤدى تلك الواجبات بنفس الروح والجد والاجتهاد التى يطالب بها تلك الحقوق. وكيف اذن تنظم هذه الحقوق والواجبات ، وهنا تنبع الحاجة الى التنظيم السياسى . يقول الكتاب ص١٥٣

« لقد مرت ثورة ٢٣ يوليو بعدة مراحل وكل مرحلة تستلزم شكلا معينا من التنظيمات الشعبية ندعم بها الوضع الجديد .فكانت هيئة التحرير التى استطاعت مجابهة التكتلات الرجعية فى مرحلة معينة، ثم جاءت مرحلة أخرى هى مرحلة الثورة السياسية التى تستلزم تجميع قوى الشعب الوطنية لمجابهة الاستعمار وعملائه فكان الاتحاد القومى وبالرغم من المتناقضات التى كانت تحدث فى الاتحاد القومى فقد ساهم واستطاع أن يثبت وجوده فى مرحلة تحدى الاستعمار والقوى الاستعمارية ليس فقط فى مصر بل وفى العالم العربى - وحين بدأت المبادىء الاشتراكية تأخذ طريقها ازداد التناقض عمقا داخل الاتحاد القومى وازدادت القوى المعادية للشعب حيث جمدت الاتحاد القومى كتنظيم شعبى وقادت فى ذلك فطعنته من الخلف، والاتحاد الاشتراكى العربى الذى سبقه كل من التنظيمين السابقين .. يعتبر تنظيمها جماهيريا وثوريا ينظم ويعبىء الجماهير فى مرحلة بناء الاشتراكية .

وتعتمد العلاقة بين القاعدة والقيادة فى الاتحاد الاشتراكى على ما يسمى باللامركزية الديمقراطية. فان الاتحاد بهذا التنظيم يعتبر وسيلة لتحريك الجماهير ولذا كان لابد أن يتم التجاوب بين القاعدة والقيادة بدون حواجز بيروقراطية أو تعقيدات ادارية أو عدم ثقة فى قدرة الجماهير على تحمل المسئولية . ان الغرض من هذا التنظيم ليس هو جمع الأنصار - فمن الخطر أن نتهاون فى مصير هذا الجهاز السياسى الضخم الذى رسمت له الثورة ثوريته ومنحته أفضلية القيادة وأعطته حق الاستعلاء على قوة السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية ، لأن المرحلة القادمة

ليست فقط مرحلة التجمع الثورى لشعب مصر بل مرحلة التجمع والكفاح الثورى من أجل الشعب العربى • (ص ١٦٨) »

ولابد للاتحاد الاشتراكى من قيادات ثورية على كل المستويات • فيذكر الكتاب فى ص ١٨٨ :

« ان اقامة المجتمع الاشتراكى الكامل تتطلب مستوى مرتفعا من القيادات فى الادارة السياسية والتنظيمية ومساهمة القوى الشعبية بتنظيماتها المختلفة ، واستعمال طاقاتها الخلاقة فى ادارة شئون الدولة فى الانتاج •

ان القائد الصالح هو الذى يستطيع ان يقنع الجماهير بما يريد وان القائد الصالح هو الذى لا يخدع الشعب ص ١٨٩ •

والقائد الذى يفتقد صلته بالجمهور يجب أن يفقد صلته فى نفس الوقت بمنصبه لأنه كممثل لهذه الجماهير يجب أن يكون منها معبرا عن آمالها حاسا بآلامها مترجما لصرخاتها منفذا لأمانيها ، معها فى محنتها وفى أفراحها ص ١٩٦ • وبعد أن يستعرض الكتاب الدور الحقيقى لكل فئات تحالف قوى الشعب العاملة فى نطاق الاتحاد الاشتراكى العربى يخلص الى القول ص ٢٦١ •

« من كل ما مضى يمكننا القول أن الاتحاد الاشتراكى العربى هو الصورة الجديدة لتنظيمنا الشعبى التى استطعنا عن طريقها أن ننقل الديمقراطية من حيز الشعار اللفظى الى حيز التنفيذ المباشر ومن حيز التطبيق الزائف الى حيز التطبيق المتكامل الذى يجسد وحدة الشعب ، ويمنحه السلطة والقدرة والتأثير على رسم خطوط مستقبله ومراقبة تنفيذها •

وبعد :

فعلى الرغم من أن هذا الكتاب قد خطا خطوة رائعة فى عرضه لقضية التنظيم السياسى الداخلى فى صورة متطورة الا أنه يقدم لنا فى معظم فصوله ـ عموميات ـ أو قضايا عامة •

ونحن نعتقد أن الفترة التنظيمية التى يمر بها الاتحاد الاشتراكى العربى الآن فى حاجة الى بحث ودراسة لجزئيات هذا التنظيم بحثا مطولا مفيدا •• ولا نريد من الأبحاث الجديدة أن تعرض لنا المشاكل والقضايا فقط ولكننا نريدها أن تدخل فى صلب التجربة التنظيمية لكى تقدم لنا حلولا مرضية • ان كثيرا من القضايا تفرض نفسها ـ مثل قضايا المهنيين ـ ودور المثقفين فى الجهاز السياسى وطبيعة العلاقات بين النقابيين والاتحاد الاشتراكى ـ فهل تشكل النقابات العمالية مثلا تكتلا ما داخل الاتحاد الاشتراكى ؟ • وهل يعنى طبيعة الكادر الثورى داخل التنظيم السياسى للاتحاد الاشتراكى العربى ـ أولئك المثقفون « الثوريون » المتخمون بعديد من المناصب ـ وهل أصبحت الثورية عندنا تعنى افراز العديد من الأفكار الملتوية علامة على النبوغ والعمق الثورى !! •• الخ •• الخ •

شىء آخر اود ان اقوله هنا :

ان جبهة التحرير الوطنية الجزائرية ـ بتنظيماتها المنبثقة من واقع شعبنا فى الجزائر ، تشكل الأساس الثورى المنظم لوحدة العمل القومى على المستوى الاقليمى والقومى والعالمى • وجبهة التحرير الوطنية الجزائرية بمحتوياتها ودعائمها ومنجزاتها انما تمثل جزءا من الحركة العربية الواحدة ، وكذلك الاتحاد الاشتراكى العربى فى العراق •• كل هذه المؤسسات الجماهيرية تخص شعبنا العربى فهل يكون من المفيد حقا أن نركز كل أبحاثنا على الاتحاد الاشتراكى العربى فى الجمهورية العربية المتحدة فقط ؟ أم أنه قد أصبح محتما على مفكرينا أن يبذلوا جهدهم وطاقتهم فى ربط هذه التجارب بعضها ببعض ـ مكملين أوجه النقص من هنا وهناك حتى لا نستطيع أن نكون اقليميين فى تفكيرنا متغلقين على أنفسنا لا نستطيع أن نرسل بصرنا الى ما بعد حدودنا الاقليمية !!

اننا نعتقد أن تلاحم هذه التجارب الثورية والمؤسسات الجماهيرية العربية • سوف يكون من شأنه أن يدعم جبهتنا التنظيمية فى الداخل بالقدر الذى يساعدها على استيعاب تجربة العمل العربى الموحد وكيف يكون على المستوى الجماهيرى •

« تحسين عبد الحى »

كتب جديدة

تقديم أحمد الصادق عبد الصمد

● **مع العقاد**

تاليف : د . شوقى ضيف

الناشر : دار المعارف بالقاهرة

هذا هو أحد أعداد سلسلة (اقرأ) يقع فى ١٧٦ ص من القطع الصغير ، وهو كما يقول المؤلف دراسة مركزة ، تصور فى اجمال سيرة العقاد ومراحلها وما اختلف عليه من مؤثرات ، وما تمتاز به شخصيته من مقومات مادية ونفسية وعقلية وروحية .

هذا وقد قسم المؤلف دراسته على أربعة فصول :

تناول فى الفصل الأول سيرة العقاد ، وفى الثانى العقاد الكاتب ، وفى الفصل الثالث العقاد الناقد ، وفى الفصل الرابع العقاد الشاعر

● **الذين يحترقون :**

المؤلف : نجيب الكيلانى

الناشر : الشركة العربية

الكتاب رقم ٣٢ للمؤلف وهو رواية تدور أحداثها فى احدى الوحدات المجمعة بالريف ، والرواية تعطى قطاعا عرضيا لمشاكل الريف وصراعاته الاجتماعية والسياسية والعاطفية ، كما تصور تطور القرية من عهد الى عهد وما يصاحب الصبغة الحضارية الجديدة والقيم الاشتراكية من انفعالات ومعارك .

● **سجن العمر :**

تاليف : توفيق الحكيم

الناشر : مكتبة الآداب

لا يزال توفيق الحكيم .. فى الحقل الأدبى يمثل الدوحة الكبيرة الدائمة الاخضرار ، والذى لا يخلف القراء موعدهم معها ، أو التى لا تخلف هى موعدها معهم، ولقد كانت آخر زهرة تفتحت على هذه الشجرة الخصبة هى كتاب « سجن العمر » ، ولندعه الآن يتكلم، فتوفيق الحكيم أعظم من يتكلم للقارىء - على ورقة - فى هذا العصر ، يقول :

« هذه الصفحات ليست مجرد سرد وتاريخ لحياة، انها تعليل وتفسير لحياة ، انى أرفع فيها الغطاء عن جهازى الآدمى لأفحص تركيب ذلك « المحرك » الذى نسميه الطبيعة أو الطبع ، هذا المحرك المتحكم فى قدرتى ، الموجه لمصيرى .

من أى شىء صنع ؟

من أى الأجزاء شكل وركب ؟

هذا هو موضوع الكتاب الذى أهداه أخيرا للقراء توفيق الحكيم .

● **لحظة صدق :**

تاليف : الدكتورة نوال السعداوى

الكتاب الذهبى

الكتاب يقدم مجموعة من القصص من خلال العلاقة الأبدية بين الرجل والمرأة ، ولعل هذا يؤكد ما قاله الدكتور يوسف ادريس فى المقدمة من أنها مشغولة بعلاقة بعض أنواع النساء ببعض أنواع الرجال . وكما يقول : « ورجلها فى الغالب رجل ذئب ، جرب وذاق ، وسيدتها المفضلة امرأة خاضت التجربة الى درجة الترفع ، الى درجة الانتقاء ، الى درجة لم يعد تصلح معها اى علاقة لتملأ الفراغ ، وانما لابد من رجل بطل مخصوص ليكون « استسلامه » نصرا تستطيع أن تفخر به أمام نفسها دقيقة .

والحقيقة تؤكد أننا أمام قصصية بارعة ، تنسج قصصها ببراعة ، وأناة ، وصبر ، والتزام .. ولعل حقيقة هذا الالتزام أن المرأة أصبح لها عالمها وواقعها، وفكرها المستقل عن الرجل .

● **أحمد لطفى السيد :**

تاليف : د · حسين فوزى النجار

الناشر : الدار المصرية للتاليف والترجمة

الكتاب أحد أعداد سلسلة أعلام العرب التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى ، وهو يقع فى ٣٠٠ص من القطع المتوسط ، وقد جاءت الدراسة فيه ترجمة وافية عن أستاذ الجيل المرحوم أحمد لطفى السيد ، وقد قسم المؤلف دراسته الى أبواب ثلاثة ، عرض فى الباب الأول تحت عنوان (الزمان والمكان) لحيوية التغير ، منذ بداية الثورة العرابية لتؤكد حق المصريين من ضباط الجيش فى المساواة باندادهم من الجركس والترك ، كما عرض لأحمد لطفى كرجل عاش فكرة تجسدت فى ضمير جيله وعصره ، وفى الباب الثانى عرض المؤلف لأستاذية أحمد لطفى للجيل ، وفى الباب الثالث عرض المؤلف لمواقف مصر الثائرة ، ووضع أحمد لطفى بين السياسة والفكر ، وبين الجامعة والوزارة، وحكم التاريخ على مكانة أحمد لطفى فى تاريخ مصر الحديثة ، ودوره القيادى فى مجال الفكر ·

● **معارك اسلامية من أمجادنا العربية :**

تاليف : أ · ح · محمد جمال الدين على محفوظ

الناشر : الدار القومية

تناول المؤلف فى حلقة سابقة غزوة بدر ، وفى هذا الكتاب عرض فى دراسة مركزة لغزوة أحد ، مبرزا الدروس المستفادة من هذه المعركة ، وكيف طبق الرسول ـ صلوات الله عليه ـ مبداى الوقاية والمبادأة بعد غزوة أحد ، وكيف استطاع المسلمون استعادة هيبتهم عن طريق غزوة بدر الآخرة التى حدثت فى شعبان من السنة الرابعة ·

● **الدعوة الى الاسلام :**

تاليف : عبد الرزاق نوفل

الناشر : مكتبة الوعى العربى

هذا الكتيب هو الحلقة الأولى من سلسلة المعرفة الاسلامية ، تهدف كما يقول المؤلف الى بيان حقائق الاسلام وما تحققه عباداته وتكاليفه للفرد والمجتمع، وتتخذ الطابع العلمى فى معالجتها لأمور الاسلام لأن العلم هو طابع هذا العصر ولغته العالمية ·

وأبواب الكتيب : الدين والانسان، تتابع الاديان، الاسلام دين عام ، ثم تبليغ الدعوة الاسلامية ، ويقع فى ٨٠ صفحة من القطع المتوسط ·

● **الامامة فى التشريع الاسلامى :**

تاليف : محمد مهدى الآصفى

الناشر : مكتبة النجاح ـ النجف بالعراق

يقع الكتاب فى ١٣٨ صفحة من القطع المتوسط، وهو محاولة لتبسيط مفهوم الامامة وعرضها بشكل جديد على ضوء العلوم البشرية الحديثة ·

وتجديد فى بحث الامامة يلائم الذوق العلمى الحديث ، والكتاب محاولة أيضا للتقريب بين المذاهب الاسلامية فى فهم معنى الامامة والبحث عن جذور الاختلاف بين المذاهب الاسلامية فى هذه المسألة ، كما ناقش الكتاب الاسباب المؤدية الى فشل الاتجاهات السياسية والادارية التى لا تتصل بالمبدأ الأعلى وموقف الامامة من مناهج الحكم والسياسة ·

عبقرية العقاد

بقلم : عبد الفتاح الديدى

يصدر فى الأسبوع القادم كتاب عبقرية العقاد من تاليف الاستاذ عبد الفتاح الديدى · وهو كتاب يبحث فى جميع نواحى العبقرية العقادية · ويقوم الكتاب بدراسة العقاد الشاعر والفيلسوف والكاتب والباحث اللغوى والمفكر والصحفى والانسان · يحاول هذا الكتاب أن يضع يد القارىء على المعطيات الأساسية ونقط الارتكاز الأصلية التى يستند اليها فكر العقاد فى هذه الأبواب جميعها · وأهم شىء هو أن نلمس جوانب الجدة والابتكار فى كل هذه النواحى ·

« أحمد عبد الصمد دياب »

قراءات في المجلات العربية

يقدمه: محمد العواني



● في ذكرى العقاد :

في مثل هذا الشهر من العام الماضي منيت مصر والأدب العربي في كل مكان بخسارة فادحة هي وفاة المفكر الكبير عباس محمود العقاد ، بعد أن ترك وراءه ثروة ضخمة شملت هذه المؤلفات العديدة التي أضافها الى العلوم والفنون والآداب ، وعلى الرغم من أنه لم يحمل شهادة عليا من جامعة ، لكنه حمل خير شهادات مدرسة الحياة التي نالها من جامعته هو .

مضى — رحمه الله — في كفاح طويل يهدف فيه الى تحقيق مجد فكري شامخ ، فانتج في عمر كفاحه ثمانين كتابا تعليه على الزمن ، وتمد الاجيال العربية المنطلقة بغذاء دسم ، يمثل اصالة العقلية العربية في غناها وعمقها ، وتفتحها للحياة والنماء .

وبمناسبة الذكرى السنوية الأولى لوفاة الأستاذ الكبير عباس العقاد ، كتبت عنه كثير من المجلات ، فالدكتور « عثمان أمين » تحت عنوان « العقاد الفيلسوف » يقول عنه في مجلة « العربي » :

« انه في تاريخ هذه الأمة « معلمة » عربية ضافية ، لم ينقطع يوما في حياته الزاخرة عن اعمال ذهنه تطلعا الى المعرفة ، وتأملا في رحاب الكون ، وتقصيا لأسرار النفس ، فهو شاعر ، وناقد ، وصحفي ، وقاص ، وهو كاتب سياسي ، ومترجم سير ، ومؤرخ مذاهب ، وناظر في الجمال » .

ويستشهد الدكتور بنماذج من قول العقاد ضد أدعياء النظر الوضعي وأشباههم من الماركسيين الذين استبد بهم الزيغ والتيه ، فانكروا كل حقيقة روحية باسم العلم ، ويبين العقاد لهؤلاء « أن التاريخ لم يستقم قط في اتجاه واحد ، كما استقام في اتجاه الحرية الفردية ، أو في اتجاه النهوض بالتبعة والأخلاق ، فمنذ آمن الانسان بروحه ، وعلم أنه مثاب على عمله ، لم يكن له تقدم قط الا في هذا الاتجاه ، ولم تقم على غير هذا الطريق قائمة من الأديان والأخلاق والحركات الاجتماعية في كل مكان ، وفي كل قبيل » .

ونشرت مجلة « الكتاب العربي » الصادرة في ١٠ مارس ١٩٦٥ مقالا لرئيس التحرير عنوانها « المامة بآراء العقاد في البطولة والعظمة والتاريخ » ، ويوضح الأستاذ علي أدهم في هذه المقالة رأيه قائلا عن العقاد انه « من كتاب العروبة وشعرائها الذين تحمل آثارهم الأدبية طابع الخلود ، لأنها ثمرة طبيعية سرية موهوبة ، ونتاج ملكات أصيلة متنوعة ، وثقافة شاملة مستوعبة ، وسيكون أدب العقاد على الدوام موردا عذبا لا ينضب للمتأدبين ، وموضوع دراسة خصبة للباحثين والدارسين » .

تلك المامة موجزة بما كتبته بعض المجلات العربية عن العقاد ، أما ماكتب عنه في بعضها الآخر فانه يفوق الحصر . فهناك مقالة في مجلة « الفكر المعاصر » عن « فلسفة الفن عند العقاد » ، ومجلة « الثقافة » في عددها الذي صدر هذا الأسبوع خصصت عددا من مقالاتها عن العقاد فكتب فيها

الدكتور زكى نجيب محمود ، وعامر بحيرى ، وعامر العقاد وعبدالفتاح الديدى ومحمد الخضرى عبدالحميد ، وطاهر الجبلاوى ·

ونحن اليوم فى ساحات نضالنا الفكرى بعد أن افتقدنا العقاد أصبحنا بحاجة الى من يتلقف مصباح الفكر من يده ، وينير به وهاجا طريقنا الطويل ، المحفوف بالمكاره المرصوف بالأشواك ، لنسابق الحضارات ، ونبلغ امتنا العربية منزلتها التى كانت لها فى مقدمة ركب الحضارة العالمى ·

· قضية الدين والاشتراكية :

فى مجلة الثقافة كتب « يحيى ابو بكر » مقالا عنوانه « مشكلات وحلول على الطريق الاشتراكى » وقد جاء فى المقال أن « من المشكلات التى قد تحمل فى بعض الاذهان تناقضا ظاهريا : قضية « الدين » وهى قضية يجب أن نناقشها بمنتهى ما نستطيع من حرية وسعة افق بعيدين كل البعد عن الجمود والتعصب والارهاب الفكرى ، دون أن نوغل فى تفاصيل النزعات اللادينية ، وفى الأضرار المحققة التى تصيب اى مجتمع اذا انتزع من أعماقه جذور الايمان بالله أو الانحلال الذى يهدم المجتمع أو يمزقه اذا تنكر للقيم الروحية واستبدل بها قيما مادية تحوى من الدجل قدر ما يحويه استغلال الدين فى خدمة الاغراض غير المشروعة لأفراد او فئات أو طبقات » ·

· الأدب والغزو الفكرى :

تحت عنوان « الأدب والغزو الفكرى » كتبت الشاعرة نازك الملائكة مقالا فى نفس هذه المجلة ، تقول فيها :

« كان لاقبالنا الشديد على قراءة آداب الغرب ونقلها الى لغتنا أثر سيىء فى حياتنا العقلية الحديثة فما لبث أن اصابها الانحراف ، فلقد أخذنا عنهم فيما أخذنا موقفهم من الدين ، والتقطنا نظرتهم المادية الى الحياة ، وموقفهم من الدين يختلف اختلافا جسيما عن موقفنا نحن ، فان الدين الاسلامى يرتبط كل الارتباط بالفكر ، وقد قامت حول القرآن أركان اللغة والأدب والفقه والمنطق والتصوف والفلسفة جميعا بحيث تعد هذه العلوم كلها تفريعات لعلم القرآن ترتكز اليه وتدور حوله ·· ثم تمضى نازك مبينة أن الدين فى أوربا « يتصف بشىء من الانعزال عن الحياة فلا يرتبط بالأدب والفكر الا من بعيد ، فالغربى يعد الدين لله والأدب للحياة وكان الحياة نفسها ليست لله ، كما يعتقد العربى » وتعلل نازك أن لذلك الموقف سببين اثنين :

(**الأول**) أن المسيحية ـ بتقريرها لقيام الخطيئة الأولى ، وبدعوتها الى التكفير بالرهبنة والامتناع عن الزواج ـ قد احتفظت بنظرة مثالية لها جمالها غير أنها عسيرة التطبيق ، ولذلك بعد الدين عن الحياة بعدا طبيعيا ، وهو أمر لم يعرفه المجتمع المسلم حيث الدين يجعل الزواج سنة مفروضة ·

(**الثانى**) أن المسيحية التى نزلت فى بلاد العرب قد فشلت فى تحويل الغربى تحويلا كاملا عن وثنية آبائه ، فبقى ثنائى المعتقد ، يصلى لله ، ويؤمن ـ رغما عنه ـ بآلهة الاغريق ، حتى انه يقسم فى حياته اليومية بجوبيتر ، كبير آلهة الاغريق ، وهو يذهب يوم الأحد الى الكنيسة للصلاة ، ولا يلبث أن يرجع الى منزله ليقرأ الفلسفات اليونانية ويكتب أدبا طابعه وثنى تتردد فيه أسماء الآلهة الشريرة التى كان يعبدها اليونان والرومان ·· وبسبب هذه الوثنية الغربية بقى المسيحيون العرب متصلين أوثق صلة بالمسيحية الحقة من مسيحيى الغرب » · وتمضى الشاعرة نازك فى هذا البحث تبين أن من عظمة الدين الاسلامى أنه لا يفصل بين الدين والحياة فيه ، فتقول انه دين الهى وثورة سياسية وفكرية واجتماعية معا ، ولذلك اهتزت له الارض العربية اهتزازا خصبا ، وأحدث انقلابا عميقا فى مناحى الحياة كلها ، ولم يترك الاسلام فى حياة العربى شاردة ولا واردة الا ضبطها وأحصاها » ، ثم تبين أن القرآن باعتباره كتاب الدين الاسلامى والثقافة معا « سيبقى ابدا كتاب كل عربى مهما كان دينه ، وفى رأيها أن المسيحى العربى «لايستطيع أن ينزع من نفسه وذهنه آثار القرآن الكبرى للعربى » وتستدل على هذا بأنهم « يحققون غير قليل من كتب التراث الاسلامى فى اخلاص يثبت ما نقول أجمل اثبات » ·

وقد رد على هذه الآراء الدكتور «سهيل ادريس» فى نفس هذا العدد من « الآداب » ولنا عودة الى استيفاء عرض هذا الموضوع من آراء الدكتور سهيل فى عدد مقبل ·

« **محمد العوانى** »

زيــارة

بقلم: أبو المعاطي أبو النجا

لم يتخلف مرة واحدة عن زيارته في مثل هذا اليوم ، الذي أصبح كل معناه بالنسبة له أنه اليوم الذي يراه فيه ، ولقد كان يزوره في أيام أخرى خلال العام ، ولكن تلك الزيارات لم تكن تخضع لموعد ، اما هذا اليوم فقد كان أصدقاؤه يعرفون أنه سيسافر فيه الى القرية فلا يسأل أحد عنه ، وكان اقاربه في القرية يعرفون أنه قادم ليراه فيكونون في انتظاره ، ومع أنه كان يمضي هناك أكثر من يوم يلتقي خلاله بناس كثيرين ، فقد كان الجميع يحسون أنه انما جاء من أجل زيارته وأن كل ما يفعله انما هو جزء من هذه الزيارة ..!

وفي هذا اليوم سافر الى القرية كما تعود أن يفعل منذ سنين ، وقبله بأيام قال لأصدقائه : سأسافر لزيارته ! فاطرقوا جميعا وكتب لأقاربه ، سأكون عندكم في نفس الموعد . فكتبوا له **سنكون في انتظارك !!**

في الصباح الباكر كانت سيارة تقطع الى قريته نفس الطريق الذي يحفظ كل معالمه ، مداخل المدن والقرى ، والحقول الغارقة في الضباب ، والمسافرون بعيونهم القلقة ، والباعة على جانبي الطريق والكباري التي تربط البلاد والناس ... كل هذه الأشياء كانت دائما جزءا من لقائه معه ، جزءا من بداية هذا اللقاء ، يشهد شوقه وحنينه ولهفته ، وكانت أيضا جزءا من نهايته ، يشهد الشوق والحنين ، وقد ذاب فيهما أسى رقيق غامض ... مصدره ذلك الشعور بأن كل شيء يمضي ، وينفلت من أصابعنا مهما اشتدت قبضتنا عليه ، وحبنا له ، وأن المكان عاجز دائما عن أن يضم كل ما يتسع له القلب ، وأن الزمن ينزلق في هدوء مثير كسكين تذبح دون ألم ، فلا تحس بحركته الا حين نلتقي بهذه الوجوه التي لا نراها دائما ، فتبدو كأنها تتغير فجأة أمام أعيننا !!

ودائما تصبح تلك المعالم قطعة من قلبه ومن مشاعره !!

أما في هذا الصباح فقد بدت له تلك المعالم ـ وكان لها وجودا مستقلا ـ غريبة ونائية ومهجورة ، وعاجزة عن أن تكون جزءا من أي شيء حتى من الأرض التي تقف عليها ، كل شيء متفرد ولا معنى له ، والعربة وحدها تندفع في هذا الفراغ كأنها صرخة مجنون ، وهو بداخلها قابع مستسلم في انتظار تلك اللحظة الغريبة التي سيلتقي فيها به !

لا يزال يذكر آخر لقاء معه ، كان منذ شهور قليلة ، لم يكن هناك موعد ، ليلتها كانت القرية غارقة في الظلام والسكون ، لم يطرق الباب كعادته ، بل وجده مفتوحا ، وجد صالة البيت مليئة بالرجال الذين لم يسمع سوى تردد أنفاسهم ، أقدامهم فقط هي التي كانت تتحرك كثيرا دون سبب واضح فوجئوا بوجوده ، قالوا له :

ـ كنا سنرسل لك !

ـ لماذا ؟

فلم يجب أحد ، وجوههم بدت كلها في ضوء المصباح المعلق على الحائط ، وكأنها توشك أن تعتذر له عن شيء ... شيء لا تستطيع التعبير عنه .. عبثا حاول أن يلمح بين الوجوه الكثيرة ... الوجه الذي يجيء من أجله ، كان دائما يخف للقائه حين يسمع صوته ، ولم يجرؤ على السؤال عنه ... شق طريقه الى حجرته ... في اندفاع ...

حاولت الأيدي الكثيرة الممتدة أن تخفف منه .. !

قالوا له : ـ لقد نام منذ قليل .. !

رفع الغطاء الأبيض عن وجهه ... لم يفكر أبدا في أن يوقظه ، كان غارقا في نوم عميق وغريب ... وكأنه قد سئم كل حركة حتى تلك الحركة التي كان يضمه فيها الى صدره ، والتي كانت تطول كثيرا قبل أن يصبح قادرا على أن يقول كلمة واحدة ؟!

لم يحتمل رؤية الوجه ، وقد سكنت ملامحه ذلك السكون الغريب ، ارتفعت كفاه تغطيان عينيه ، قادته بعض الأيدي الى خارج الحجرة ، لم تنجح الكفان

لحظة واحدة فى ابعاد الملامح الساكنة عن عينيه ، لا يدرى متى تركهما يسقطان الى جانبيه !! وحين فتح عينيه وجد صورة الوجه الساكن تكبر وتغطى كل ما تقع عليه عينـاه ٠٠ سكون الوجه يتسلل الى كل شىء وينفذ الى قلب العالم فيحس أن الكون سيلفظ أنفاسه ٠٠ ، ويسود عالم السكون ، ويسيطر عليه احساس غريب ، احســاس بأنه لا جدوى من أى شىء ، ولا معنى لأية حركة ، ما دام ذلك السكون ينتظر فى نهاية الأمر ، ينتظر الفرح والألم ، ينتظر الأمل واليأس ، ينتظر الراحة والشقاء !! كان ذلك الســكون العميق الذى يلغى الشعور بأى شىء حتى بالألم ، هو الوجه الآخر الذى لم يره من قبل لهذا العالم ٠ واستراح لهذا الوجه كما لم يسترح لشىء فى تلك الليلة ٠٠! انه الوجه الحقيقى لهذا العالم ٠٠! والملاذ الوحيد الذى سيحتمى به من العذاب ٠٠! ومن الزيف ٠٠ !

لا يدرى متى بدأ هذا الوجه ـ الذى كان يظنه الوجه الحقيقى للأشياء يتخلى عنه ويخذله !!

لقد فتح عينيـــه ذات صــباح فلم يبصر الملامح الساكنة التى كانت تغطى كل ما تقع عليه عيناه ٠ !

أبصرها فى ذلك الصباح تنبض وتتحرك نفس الحركة التى كانت تطالعه كلما طرق باب بيتـه فى القرية ٠٠ !

حركة الشوق والحنين ٠٠ ! والذراعين المفتوحين!

ـ أهلا أهلا ٠٠٠ دعنا منك ٠٠ أنت ولد سىء !

وترتعش ملامح الوجه ، وتزحف التجاعيد حول العينين اللامعتين فى الأحداق

ـ كيف تقول هذا الكلام ؟؟ أقسم لك اننى لا أترك أى فرصة تسنح لزيارتك ؟

ـ حين كانت صـحتى تحتمل الســفر ، كنت لا أنتظر قدومك !

ويجلسان معا على الكنبة فى صالة البيت ٠٠

ـ لكن قل لى أولا كيف حالك ؟ لم تكتب لى منذ وقت طويل ٠

ـ لأنى كنت معتزما أن أحضر لأراك !

ـ يا له من سبب مضحك ! هل أفهم من هــذا انك ظللت ثلاثة أشهر تفكر فى زيارتى ٠٠ !! ماذا تكلفك كتابة رسالة ؟ حين كانت عيناى سليمتان كنت أكتب لك كل أسبوع !

ـ فى الحقيقة المشاغل تملأ الوقت وحده ولكن قلبى لا يشغله شىء عنك !

ـ متى تعلمت الكذب ؟ لا تصدق أننى أريد أن تشغل نفسك بى أكثر من اللازم ، لكن حين يكون الأمر مجرد رسالة ؟

ـ أعدك الا أتأخر فى الكتابة اليك !

ـ لم انس بعد وعودك السابقة ٠٠٠ لا تكذب من أجل ارضائى ٠ فكر فى طريقة تطمئننى عليك غير الرسائل ، اعفيك من كتابتها !

ـ ثق أننى أجد سعادة فى الكتابة اليك فلماذا ؟

ـ ها أنت تعود مرة أخرى للكذب !

ـ الحقيقة أننى واثق من أنك ستغفر لى مالا يغفره الناس ولذلك أجعل تقصيرى من نصيبك !

ـ هذا كلام فيه رائحة الصــدق ٠٠٠ لكنك لم تحدثنى عن أحوالك

ويحس بيده تربت كتفيه فى حنان وكأنه يتلمس بيده اجابة لسؤاله

« هذه اليد النحيلة التى صحبته فى رحلة حياته تعيده بلمستها الساحرة مجرد طفل كان يتوهم أن حاجته اليها ستنقضى حين يشتد ســاعده ، ولكنه يحس وهو فى قلب المدينة الكبيرة حيث تبدو الأيدى كلها وكأنما خلقت لتخوض صراعا من أجل شىء أو ضده ٠٠٠ أنه لاتزال هناك فى قريته يدان رقيقتان سوف تلمســانه كما تلمس أعز الأشــياء ، يدان مفتوحتان دائما فى انتظار أن يطرق الباب فى أى ساعة من النهار أو الليل ، لتعيداه فى لحظة الى عالم سحرى ناعم ورقيق ٠٠ ! »

ـ لماذا تصمت حين أسالك عن أحوالك ؟ هل تظن اننى لم أعد قادرا على أن أصنع لك شيئا ؟

ـ لا يا أبى ولكنى أشعر وأنا معك أنه لا شىء ينقصنى !

ـ الم اقل لك دعك من هذا الكلام ؟ انا أعرف الأشياء التى تحبها ابنتك وقد أعددتها لها ٠٠٠

« الى متى يظل هذا الرجل يعتقد أنه مســئول عنى ؟ ومع ذلك فما أشد ما كان يريحه ذلك الشعور الكامن فى الأعماق بأنه يوجد فى قريته النائيـــة شخص يفكر فيه دائما ، ويحس بأنه مسئول عنه، شخص يمكنه أن يتحرك رغم أعوامه السبعين مدفوعا بقوة هائلة لو أن مكروها الم به ، وما أكثر ما استقر فى أعماقه ان هذا المسئول لن يتخلى عنه أبدا وأنه سيبقى هناك دائما فى انتظاره ، وما أكثر ما كانت تريحه تلك اللحظات التى يشعر فيها ان الحــدود التى تفصل بين أى شخصين فى العالم تتلاشى بينهما ٠٠٠ وتنعدم ٠٠٠ تلك اللحظات التى كان يلمح فيها

افراحه وهى تشرق فى وجه أبيه وأحزانه وهى تسكن عميقة فى تجاعيد وجهه !

فى طفولته وصباه كانت تلك اللحظات هى كل الوقت ··· كانت أحاديثه معه تبدو نوعا من حديث النفس ··· لا يذكر بالتحديد متى بدأ حديث النفس يصبح حوارا بين اثنين ·· !

متى بدأت الحدود بينهما ترتفع وتعمق ؟ ربما حدث ذلك فى نفس اللحظة التى تعلم فيها الكذب كما يقول ابوه ، حين بدأ يشعر بأن فى رأسه افكارا لا يمكنه أن يقولها له ، وأن له مسرات قد لا تسعده ، وأحزانا ربما لا تهز قلبه !! منذ تلك اللحظة أصبح العالم الواحد الذى كان يضمهما عالمين وارتفعت الحدود راسخة وشامخة ، ورغم ذلك فما كان أشد حنينه الى تلك اللحظات الرقيقة التى تتلاشى فيها الحدود ··· لحظات اللقاء فى كل زيارة ·

وفى تلك الليلة الغريبة التى بدا فيها السكون العميق ، وكأنه الوجه الحقيقى للأشياء ، أحس أنه ليس ثمة غير عالم واحد ، وأن الحدود التى كان يتوهمها مجرد خداع !

وحين دبت الحياة ذات صباح فى الملامح الساكنة ··· أحس أنه فى أعماقه فى مكان ما من تلك الأعماق ، سيتم لقاء لا يدرك كنهه ··· ولا غايته !

بين ذلك السكون العميق المطلق الذى أصبح جزءا من نفسه ، والذى وقف به ذات ليلة على حدود ذلك الجزء المجهول من العالم ، وبين تلك الحياة النابضة التى لا يزال أبوه يعيشها فى تلك النفس !!

وفى كل ليلة كان يتم هذا اللقاء الغريب ··· كان يبصر الملامح الدقيقة وهى تنفعل فتهتز تلك الخطوط التى يحفظ مكانها فى الوجه ويسمع نفس الصوت الواهن المرتعش ، يردد نفس الكلمات ·· !

وعادت أحاديثه معه تصبح نوعا من حديث النفس !!

ذات ليلة ، فى الوقت الذى اعتاد أن يلتقى فيه معه ، والظلام يغمر حجرته ، والسكون يغرق البيت كله ، انتظره ··· فلم يجىء ··· كانت ملامحه تبدو بعيدة وشاحبة ، ولم يسمع له صوت ··· وغمره الخجل ، وامتدت يده تنير الحجرة ، وامتدت عيناه الى ركن تطل منه الصورة التى تدت ملامحها عن رأسه !

كانت صورة الحائط بدورها ساكنة الملامح ··· وعبثا حاول أن يدفع فيها نبض الحياة ، أن يسمعها تنطق بكلمة واحدة ··· كانت ساكنة ذلك السكون العميق المطلق ··· بجوارها أبصر نتيجة حائط ظل يحدق فى تاريخها ··· رأى هذا التاريخ فى صباح اليوم فلم يفهم له معنى ··· الآن فقط تذكر أنه بعد أيام قليلة سيحل موعد الزيارة ··· كاد ينسى ذلك الموعد !!

ها قد بدأت الخيانة ··· دائما تبدأ الخيانات صغيرة وتافهة وكأن لم يكن ثمة لقاء بين السكون والحركة ·· !

كانت موجة السكون قد انحسرت ذات صباح ··· أتراها تعاود المد ؟ ورغم ذلك فهناك أشياء لم تفرق بعد ··· ربما لأنها لا تفرق أبدا هناك تلك الصورة المعلقة ، والنتيجة التى لا تخطىء الوقت ، ومكان فى قريته ينتظر الزيارة ·

من بعيد لاحت قريته ··· لا شىء قد تغير ··· مئذنة المسجد ترتفع شامخة فوق النخيل الذى يكاد يخفى القرية ، الجسر الذى لم يعبد بعد ، والمقهى الذى ينتظر فيه المسافرون ·· ! والعيون التى تفحص كل قادم ولو كانت تراه كل يوم ·· ! والرجال الذين لا يكتفون بالتحية من بعيد ·· ! والأطفال الذين يرونه دائما شخصا غريبا فيتبعونه ويختلفون فى شأن البيت الذى سيدخله ، ولا يتركونه الا أمام داره ·· !

أمام داره ··· كان ينتظر اقاربه ·

ـ كل سنة وانتم طيبون ·

ـ كل سنة وانت طيب ·· البركة فيك ·· !

وتتصافح الأيدى ، وتبتسم العيون فى فتور ، ويثقل الصمت وتقال كلمات قليلة لا يسمعها بوضوح ··· وفجأة يرتفع صوت أحد أقاربه ···

ـ البلد كلها تزور الآن ··· بعد أن تستريح قليلا نذهب كلنا للزيارة ·· !

كانت الجماعة الصغيرة التى بدأت سيرها من أمام بيته ، تجتذب من كل شارع تمر به عددا جديدا من الناس ·· يبدءون بالسلام ثم يواصلون السير ··· مع الجماعة ، وحين غادرت الجماعة القرية وانحصرت فى الشريط الضيق الذى يشق الأرض الزراعية صنعت طابورا طويلا يسير وسط سحابة من الغبار تمتد بطوله ·· !

من بعيد لاحت الهضبة الرملية التى اختارتها القرية لتنام فيها نومها الطويل ٠٠٠ وكلما اقتربت الهضبة مالت الخطوات الى البطء ، وهدأ اللغط ، ورقت سحابة الغبار ، واختفت الضحكات التى كانت تصدر أحيانا من الطابور ٠٠ !

وحين بدأ رأس الطابور يرتفع قليلا فى طريقه الى الهضبة ، والأقدام تغوص فى الرمل الناعم، كف اللغط ، وساد المكان سكون لا يتضح فيه سوى حفق الأقدام وهى تنتزع من الأرض ، وكاد يسمع صوت قلبه وهو يخفق. هضبة السكون تبتلع الطابور فى طرقاتها المتعددة ، وتوشك رءوس الناس أن تختلط برءوس المقابر ٠٠٠ وتلوح أشجار الصبار التى يعجز الهواء عن تحريكها ٠٠٠ بعد لحظات سيلتقى به ٠٠٠ فى احدى الطرقات تقدم أحد أقاربه ٠٠٠ لاحت لعينيه قطعة الرخام الناصعة التى حفر فيها الاسم بلون أسود ٠٠٠ بدا له الاسم غريبا فى هذا المكان ٠٠٠ الاسم الذى لا يزال يعيش معه ٠٠٠ يكتبه فى أوراقه ، ويسمعه فى فم الأصدقاء وينادى به ٠٠ ! الاسم والصورة والنتيجة التى لا تخطىء الوقت وموعد الزيارة ٠٠٠ وأخيرا هذا المكان ٠٠٠ ! فى هذه الاشياء التى لا تفرق ٠٠٠ يجب أن يودع ثقته ٠٠ !

توقفت قدماه أمام قطعة الرخام الناصعة وتمتمت شفتاه بدعاء ثم ساد السكون ٠٠٠

« ها قد جئت فى الموعد ٠٠٠ الموعد الذى كدت أنساه ٠٠٠ لن أكذب عليك هذه المرة فأنت تعرف الآن كل شىء ٠٠٠ تعرف نبأ خيانتى لك وربما تعرف أكثر لماذا تحدث تلك الخيانات ٠٠ ؟

كنت دائما تكره الكذب فهل عرفت أكاذيبى كلها؟ هل عرفت كل ما كنت أخفيه عنك حين كنا شخصان لابد لكى نتفاهم من أن يدور بيننا حوار ؟ ها قد أصبح ما بيننا مجرد نجوى خفية ٠٠ !

فهل أصبحنا أكثر تفاهما ؟

واذا كنت عرفت ذلك كله ؟ فلماذا لم تصنع شيئا من أجلى ؟ أى شىء ؟

ألم تكن تضيق بصمتى حين تسالنى عن حالى فلا أرد لهفتك ؟ وكنت تقول لى معاتبا : هل تظننى لم أعد قادرا على أن أصنع لك شيئا ؟

لماذا وأنت تعرف الآن كل شىء تواصل الصمت ؟

هل أدركت الآن أن ما كنت تقدمه لى لم يكن هو كل ما أحتاج اليه ؟

لماذا تصمت وأنت هناك فى هذا الجزء من العالم الذى لم أتعذب بشىء مثلما أتعذب بالرغبة فى أن أعرف لمحة عنه !

ذلك الجزء الذى ظللت طوال حياتك تتحدث عنه وتحلم به وتصلى من أجله وتصفه كأنك تراه ٠٠ !

لماذا تصمت الآن كل هذا الصمت بعد أن أصبحت جزءا منه !

هل أصبحت مثله ؟

حين كنت معى ٠٠٠ كنت أعتقد أنه لا بد أن يأتى يوم يصبح لى فيه مثل يقينك الرائع الذى كنت أحسدك عليه ٠٠٠ قد أصل من طريق آخر ولكنى حتما سالتقى بك ٠٠٠ سالتقى بذلك السلام العميق الذى كنت تنعم به ٠٠ ! سيأتى يوم يتبدى لى فيه ذلك الجزء من العالم كاشفا عن سره ٠٠٠ قد يحدث ذلك فجأة ولكنه سيكون رائعا مثل شروق الشمس ٠٠٠ ذلك الجزء الذى يسوده السكون والصمت لا بد أن يخرق قانونه ويهمس لى بشىء ٠٠ !

وفى تلك الليلة الغريبة وجدتنى أقف معك على حدود هذا الجزء من العالم ، وخيل الى وقد دنوت منه ذلك الدنو المهلك أننى سالمس كل شىء ، ستحدث المعجزة ٠٠٠ سيهمس السكون الأبدى بسره ٠٠ ! وفى ذلك الصباح الذى نبضت فيه ملامحك وارتعش صوتك ٠٠٠ لم أسمع غير صوت عالمنا ولم أبصر غير صورته ٠٠ !

وكان ذلك كله لم يكن سوى مجرد خداع ٠٠ ! قاس رهيب !! وها نحن نتبادل الخيانات يا من كنت تحبنى !! ولم نزل شخصين !

وما زال الحوار الأخرس لغة الكون ٠٠٠ ولكنى لن أتخلف أبدا عن زيارتك ٠٠٠ ولن اياس من صمتك ٠٠٠ فقد تحدث المعجزة يوما وما بيننا من الحب كبير وعميق ٠٠٠ !

احس بيد تلمس يده ٠٠٠ كان أقاربه فى انتظاره ٠٠٠ وكان الطابور قد بدأ يصنع سحابة جديدة من الغبار تتجه الى القرية وتعلن انتهاء الزيارة ٠٠ !

« **ابو المعاطى ابو النجا** »



العدد ٨٧

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر